وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



السمات الأسلوبية للخطاب القرآني
سورة "ق" أنموذجاً

مذكرة لنيل شهادة ماستر

التخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- سارة بلعزوقي
- خديجة بن حليمة

إشراف:

- د محمد زوقاي

السنة الجامعية: 2013 م-2014 م

1434 هـ-1435 هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السمات الأسلوبية للخطاب القرآني
سورة "ق" أنموذجاً

مذكرة لنيل شهادة ماستر

التخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبتين:

- سارة بلعزوقي
- خديجة بن حليمة

إشراف:

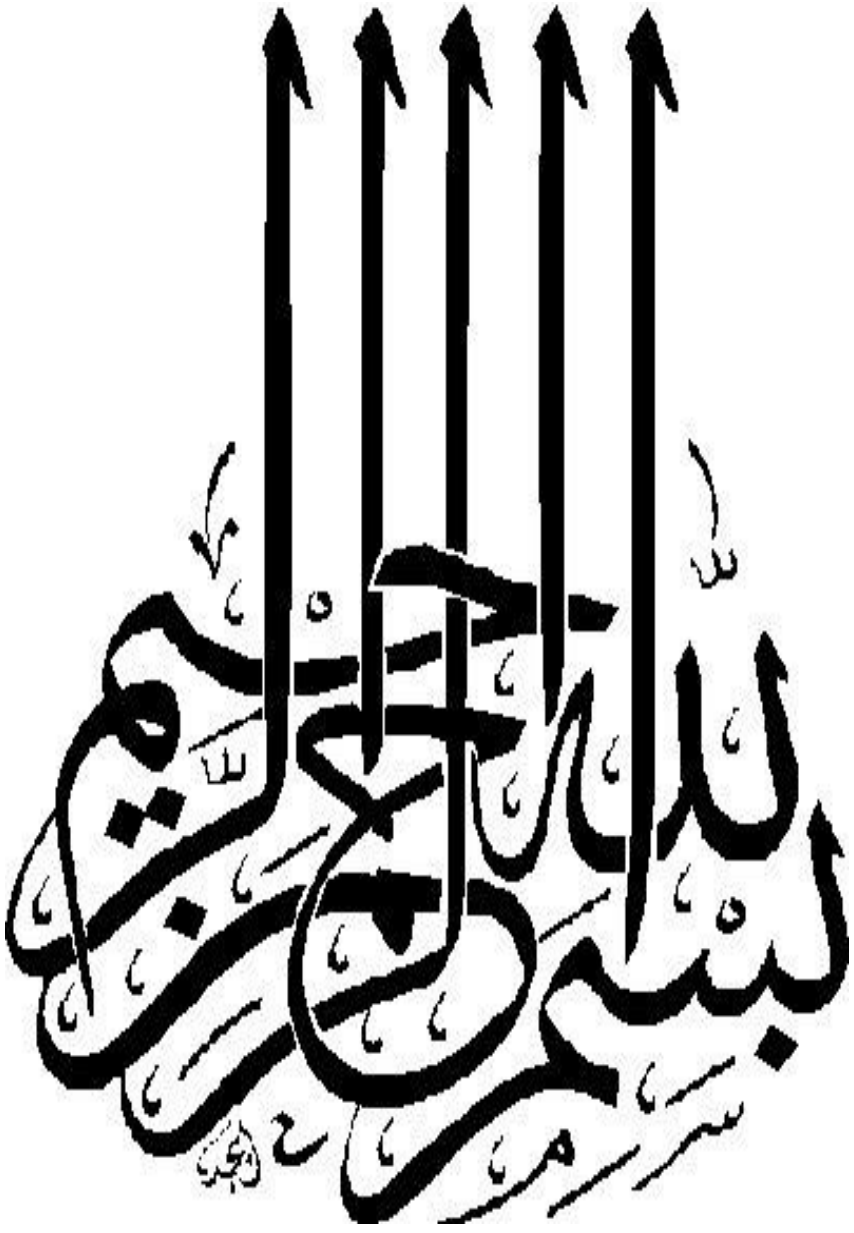
- د محمد زوقاي

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
د. النذير بولمعالي	أستاذ محاضر .أ	رئيسا
د. محمد زوقاي	أستاذ محاضر .أ	مشرفا ومقررا
أ. أم هاني رحماني	أستاذ مساعد .أ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2013 م-2014 م

1434 هـ-1435 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل وأنار لنا طريق العلم

وألهمنا الصبر.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لأستاذنا الفاضل المشرف الدكتور "**محمد زوقاي**"

الذي شرفنا بتعهد بحثنا مذ كان فكرة أولية، وكان سندا لنا طيلته ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته ودعمه المعنوي.

والشكر الجزيل للأستاذين الكريمين ميلود عبابسي والشاذلي سعدودي اللذين لم يغلقا الباب في وجوهنا لما كنا في أمس الحاجة لمن يأخذ بأيدينا.

شكرا لأساتذتنا الأفاضل فردا فردا ... ولكل من علمنا حرفا وفسر لنا مبهما وذلل لنا صعبا وقدم لنا معلومة كبيرة كانت أم صغيرة.

دون أن ننسى أعوان المكتبة ونخص بالذكر معاوية بن مولود والطالب بن عيسى قرمزلي ووفاء قايدي.

والشكر الجزيل لكل من ساهم في إعداد هذا العمل حتى صار بهذه الحلة.

فللجميع منا جزيل الشكر والامتنان ... ومن الله عظيم الأجر والجزاء.

الإهداء

إلى من علماني كيف الصمود والصعود والتفاؤل. إلى الشمعتين اللتين تحترقان لإسعادي وإنارة دربي، إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء.

الوالدين الكريمين

إلى إخوتي: صالح، صهيب، بوعلام، عبد الباسط وياسر.

إلى أخواتي: أمينة، سارة وسماح.

والكتكوتين الصغيرين: جليلو وباسل.

إلى الأخت التي رافقتني وتقاسمت معي لحظات إنجاز البحث "سارة بلعزوقي"

إلى كل صديقة وزميلة

إلى كثيرين

يعرفون أنفسهم

وأعترف بفضلهم.

خديجة

الإهداء

إلى من قال فيهما عزّ وجل ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾

الإسراء: 23

إلى من يصرخ صوتهما في قلبي

إلى من لقبتهما بالمجاهدين دون سلاح

يا ملكين في جنة أحلامي

أمـــي أبـــي

أبـــي أمـــي

إلى أعز الناس بعد والديّ إخوتي

منكم وبكم وفيكم وإليكم دائما أعود

وكل عائلتي فردا فردا

وإلى التي تتحمل تصرفاتي الصبيانية ورفيقتي في الدرب وشريكتي في الدراسة

"خديجة بن حليمة"

وإلى كل صديقة قدرت صداقتي.

سارة

مقدمة

مقدمة:

القرآن الكريم رسالة دينية ومنهج دنيوي، وظاهرة معجزة في لغته وأسلوبه وبيانه، والبحث فيه بحث في خصائصه وأسرار إعجازه. وصلته باللغة العربية صلة وثيقة؛ فهو كتابها الأول منه استمدت بعض علومها العربية وأصولها، ومن أجله وضعت قوانينها. والقرآن الكريم كان ومازال محط دراسة الدارسين كل في مجال تخصصه ونحن بدورنا نحاول جهدنا أن نسهم في باب من أبواب دراسته، مقررين الخوض في مغامرة البحث في النص المقدس مركزين على الجانب الأسلوبي كمنهج لدراسة بعض الظواهر اللغوية.

حاولنا من خلال بحثنا أن ندرس السمات الأسلوبية الكامنة في النص القرآني من خلال سورة "ق" إذ وردت فيها معاني يوم الحشر والحساب.

فالدراسة الأسلوبية حسب منهجيتها ترتكز: على الظواهر اللغوية التي تتكرر فتكون بروزا، يمثل انزياحا يكون له أثر لافت في البناء اللغوي للنص، حيث يشكل خصوصية فنية جمالية للنص القرآني، مما يسهم في الكشف عن بنية الخطاب القرآني.

ثم إن هذه الدراسة نابعة عن رغبتنا في دراسة القرآن وسورة "ق" على وجه الخصوص لأنها بمثابة شريط يعرض أمامك مشاهد البعث والنشور، ولأن الله يهون على قارئها تارات الموت وسكراته وذلك استنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته».

وعلى الرغم من تخوفنا من الخوض في هذه الدراسة لكون النص مقدساً، و لكن لإيماننا بأن للمصيب أجرين وللمخطئ أجر واحد اندفعنا للبحث فيه منطلقين من تساؤلات عدة تبادرت إلى أذهاننا. أهمها الإشكالية الرئيسة المتمثلة في:

ما هي أهم السمات الأسلوبية التي ميزت سورة "ق" وكيف نتمكن من الكشف عنها؟ نتبعها بجملة من التساؤلات الآتية:

. ما الأسلوبية؟ وما طبيعة العلاقة التي تربطها بعلوم اللغة؟

. ما أهم الظواهر الصوتية، التركيبية و الدلالية التي ميزت السورة؟

ومحاولة منا الإجابة عن تلك الإشكالات اقترحنا خطة مكونة من أربعة فصول، أولها فصل تمهيدي خصصناه لتحديد المفاهيم. إذ يندرج تحته ثلاثة مباحث الأول حددنا فيه مفهوم الأسلوب والأسلوبية والمبحث الثاني التعرف على الأسلوبية ومدارسها وعلاقتها بعلوم اللغة، بينما خصصنا المبحث الثالث للخطاب حيث؛ تناولنا فيه مفهوم الخطاب بصفة عامة، والخطاب القرآني على وجه الخصوص. أما الفصول الثاني والثالث والرابع فقد جمعنا فيها بين النظري والتطبيقي، وقد تناولنا في الفصل الثاني المستوى الصوتي حيث قسمناه إلى ثلاثة مباحث الأول ركزنا فيه على أبرز الظواهر الصوتية من صفات الجهر والهمس، الشدة والرخاوة حيث سلطنا الضوء في تحليلنا على الصفات القوية لما لها من وقع مؤثر يتناسب وموضوع السورة (وصف أهوال يوم القيامة) مركزين على الأصوات المنطوقة، والثاني درسنا فيه الفاصلة القرآنية وظاهرة الانزياح في الفاصلة أما الثالث فقد تناولنا فيه المشتقات.

بينما الفصل الثالث ضم المستوى التركيبي إذ تناولنا فيه مجموعة من الظواهر وقد اتبعنا في ترتيب هذه الظواهر درجة بروزها في السورة وقسمناها إلى خمسة مباحث في المبحث الأول تناولنا التعريف والتنكير والثاني التكرار أما الثالث فقد تناولنا فيه الحذف ودرسنا في الفصل الرابع التقديم والتأخير، أما الفصل الخامس فخصصناه لظاهرة الالتفات. واتبعنا هذا التقسيم للمباحث نظراً للمادة العلمية التي يحتويها هذا الفصل، أما الفصل الرابع فعنوناه بالمستوى الدلالي وقسمناه إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول عرضنا فيه الحقول الدلالية وراعينا في ذلك تسلسل المواضيع التي عالجتها السورة، أما الثاني فضم المشترك اللفظي. بينما المبحث الثالث ركزنا فيه على ظاهرتي الترادف والتضاد.

وتبع ذلك خاتمة أدرجنا فيها نقاطا مركزة لأهم النتائج التي توصلنا إليها، يليها ملحق ضم سورة "ق" وتفسيرها بالإضافة إلى مخطط توضيحي لمخارج الحروف.

واعتمدنا في دراستنا المنهج الأسلوبي، ولكن الدراسة اقتضت في بعض الجزئيات من البحث أن نستعين بأدوات أخرى في الوصف أو الإحصاء.

واعتمدنا في دراستنا على دراسات سابقة مع اختلاف طريقة تناول الموضوع ومحتواه، ومنها دراسة لخصائص الأسلوب في سورة النمل من إعداد أحمد بزيو إذ ركز على الجانب اللغوي، ودراسة أسلوبية لسورة الكهف من إعداد مروان محمد سعيد عبد الرحمن وكذا دراسة أسلوبية لسورة مريم لـ: معين رفيق أحمد صالح، حيث اعتنى كل منهما في دراسته بالمستويات اللغوية والصورة الفنية على وجه الخصوص.

وقد اعتمدنا في بحثنا عددا من المصادر والمراجع. منها:

تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور باعتباره تفسيرا لغويا وشاملا لمعظم الظواهر الواردة في السورة.

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي محمد علي

كتاب الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي وكذا كتاب: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق لأبو العدوس يوسف وغيرها.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات خلال إنجازنا للبحث ومنها صعوبة التعامل مع النص القرآني، نظرا لقداسته ونحن نطبق منهجا إنسانيا مهما وصل إليه من قدرة على التحليل فإنه يعجز عن الإحاطة بكلام إلهي معجز. وكل ذلك يقتضي توخي الحذر أثناء

البحث، كما أن اجتهادات المفسرين كانت متعددة في تفسير بعض القضايا مما جعلنا نأخذ بعضها دون الآخر.

راجين أن نكون بهذا الاجتهاد قد فتحنا بابا لدراسات أخرى تهتم بالجانب الإفرادي وتعطيه حقه. وإن كان لابد من كلمة أخيرة في هذا المجال فهي التعبير عن أسمى معاني الشكر والتقدير إلى الأستاذ الكريم الدكتور "محمد زوقاي"، الذي تحمل مسؤولية الإشراف والتوجيه ... فله منا جزيل الشكر بالغ الامتنان، كما نتقدم بوافر الشكر مسبقاً إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تحمل عبء قراءة هذا البحث، قصد توجيهنا إلى قواعد البحث العلمي الصحيح، فلهم منا كل الشكر والتقدير، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله من وراء القصد.

الفصل التمهيدي

تحديد المفاهيم

المبحث الأول: ماهية الأسلوب والأسلوبية.

1- الأسلوب.

2- الأسلوبية.

المبحث الثاني: الأسلوبية مدارسها وعلاقتها بعلوم اللغة.

1- المدارس الأسلوبية.

2- علاقة الأسلوبية بعلوم اللغة.

المبحث الثالث: الخطاب.

1- مفهوم الخطاب.

2- الخطاب القرآني.

المبحث الأول: الأسلوب والأسلوبية:

تعدّدت المناهج النقدية في العصر الحديث، ومن بينها المنهج الأسلوبي الذي يعد من نتائج الدراسات السابقة، والذي يتميز بالنظرة الشاملة للنص، فهو يدرسه كلا كاملا من زوايا متعددة؛ حيث يدرس النص من خلال التطرق إلى مستويات اللغة وعلاقتها بالدلالة.

1-الأسلوب:

عرفه ابن منظور قديما فقال: «يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد، فهو أسلوب.

قال: والأسلوب الطريق والوجهة، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب: الطريق تؤخذ فيه والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أفانين منه».[1] ومنه نستخلص أن الأسلوب هو الطريق والوجهة، المذهب والفن.

وتناول الزمخشري مادة (سلب) فيقول: «سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب، والإحداد على الزوج، والتسليب عام.

وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة. ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله واستلبه، وهو مستلب العقل، وشجرة سليب، أخذ ورقها وثمرها، وشجر سلب. وناقة سلوب: أخذ ولدها، ونوق سلائب. ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة».[2]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ج1، دط، دت، ص 473.

[2] الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، دت، ص 304.

وإذا تأملنا كلا من التعريفين وجدنا أن الثاني أكثر دقة من الأول باعتبار أن الزمخشري صاحب كتاب "أساس البلاغة"، وتفسير "الكشاف" بلاغي، في حين أن ابن منظور كان معجميا.

وبالنظر إلى التحديد اللغوي لكلمة (الأسلوب) نجده ذا بعدين:

الأول مادي في قوله: الطريق الممتد، أو السطر من النخيل ومن حيث ارتباطها أحيانا بالنواحي الشكلية كعدم الالتفات يمنة أو يسرة.

أما الثاني فهو بعد فني تتمثل في أساليب القول وأفانينه.[1]

ولعل من المفيد أن نتلمس الجذر اللغوي لكلمة style في الإنجليزية. فكلمة (style) تشير إلى (مرقم الشمع) وهي أداة الكتابة على ألواح الشمع، وقد «اشتقّت من الشكل اللاتيني (Stylus) إبرة الطبع (الحفر)، واتخذت من اللاتينية الكلاسيكية المعنى العام نفسه، وكذلك الأمر في اللغات الحديثة كلها»[2]

إلا أنّ هناك من يرى أن كلمة (Style) انتقلت من معناها الأصلي للكتابة واستخدمت في فن المعمار وفي نحت التماثيل ثم عادت مرة أخرى إلى مجال الدراسات الأدبية.[3]

ومن هنا تبدو كلمة (Style) لصيقة بالمفهوم العام للأسلوب في الثقافة العربية ما دامت تشير إلى (أداة الكتابة أو الحفر)، وتبدو كذلك _أكثر تلاؤما_ من ناحية الجذر اللساني حسب_ مع المجال الذي عنيت به، وتشكل مفهومها فيه، أعني مجال الكتابة أو الكلام، من كلمة (أسلوب) في اللغة العربية، فكلمة (أسلوب) غير لصيقة بأصل مادتها

[1] عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون _الشركة المصرية العالمية للنشر_، ط1، دت، ص 10.
[2] ناظم حسن: البنى الأسلوبية: دراسة لقصيدة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء _المغرب _، ط1، 2002، ص 15.
[3] فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب (علي حسن) القاهرة، 2004، ص 39.

(سلب) على الرغم من أنها تدل على سمة أو خصيصة معينة يتضمنها شيء ما وليس _ضرورة _ كتابة ما أو كلام ما.

ويمكن أن نشير إلى أن الزبيدي في (تاج العروس) لا يزيد على ما ذكره ابن منظور في (لسان العرب) بشأن كلمة أسلوب، وبالنظر إلى أن (لسان العرب) و(تاج العروس) من أهم المعجمات العربية، يمكن أن نقرر أن كلمة (أسلوب) مهيأة لأن تشحن بمعنى اصطلاحي معين في اللغة العربية مادامت صلتها ضعيفة بأصل مادتها (سلب).[1]

كما أشار د عبد المطلب في كتابه البلاغة والأسلوبية إلى أن المعنى الاصطلاحي لم يبعد كثيرا عن المفهوم اللغوي.[2]

وإذا نظرنا إلى مفهوم الأسلوب عند الغرب وجدنا له جذورا عميقة حيث تكلم أرسطو عن الأسلوب في الكتاب الثالث من بحثه في الخطابة ثم تحدث عنه "كونتليانوس Quintilianus " في الكتاب الثامن من بحثه نظم الخطابة، وقد ورث علماء اللغة الأوربيون في العصور الوسطى بعض مفاهيمها في تقسيماتهم للأساليب الممكنة في الكتابة وقرروا انقسام الأسلوب ثلاثة أقسام: البسيط أو الوطيء، والوسيط، والسامي أو الوقور، وعدوا أعمال الشاعر فرجيل نماذج الأقسام الثلاثة: فالرعائيات نموذج للوسيط، والإنياذة نموذج للسامي أو الوقور. ثم صار يعني: «أية طريقة خاصة لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب، أو مدرسة أو فترة زمنية أو جنس أدبي ما».

يقول أفلاطون: «كما تكون طبايع الشخص يكون أسلوبه»[3] كما أشارت أغلب الدراسات الحديثة في تعريفها لمفهوم الأسلوب إلى تعريف "بيفون Georges Louis

[1] ناظم حسن: البنى الأسلوبية دراسة لقصيدة المطر للسياب، مرجع سابق، ص15، 16.

[2] عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص 10.

[3] ابن ذريل عدنان: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 2000، ص43.

Lecher Comte de Buffon"الذي عرفه بقوله: «إن من الهين أن تنتزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تبدل، بل كثيرا ما ترتقي إذا ما عالجها من هو أكثر مهارة من صاحبها، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه».[1]

إذا تأملنا قول "بيفون" نجد أن الأسلوب مرتبط بذات الباث، أي إنه مرآة عاكسة لشخصه، لينتهي إلى أن الأسلوب هو الرجل على حد تعبيره.[2]

ولقد أثر جورج بيفون بنظريته هذه في كل الذين جاءوا بعده من رواد النقد الأدبي ومنظري الأسلوب فتبناها "شوبنهاور Schopenhauer" فعرف الأسلوب بكونه ملامح الفكر. وتمثلها "فلوبير Flaubert" ثم صاغها فقال: «يعتبر الأسلوب وحده طريقة مطلقة في تقدير الأشياء» وكذلك فعل "ماكس جاكوب Max Jacob" إذ قال: «إن جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته»[3].

أما "شارل باليCharles Bally" فقد حصر مدلول الأسلوب في تفجر طاقات التعبير الكامنة في اللغة، ويعرف "ماروزوJules Marouzeau" الأسلوب بأنه: «اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حال الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه»[4]. ويعرفه "بيير جيرو" بأنه «مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير التي تحددها طبيعة الشخص المتكلم أو الكاتب، ومقاصده».[5] كما أشار "فينوقرادوف V.V.Vinogradov" إلى أن الأسلوب يتحدد بالعالم الأصغر للأدب ويعني به النص وهذا العالم الأصغر يحدده «جهاز الروابط القائمة بين العناصر اللغوية والمتفاعلة مع قوانين انتظامها».

---

[1] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب، ط2، 1982، ص67.

[2] درويش أحمد: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، ط1، دت، ص 17.

[3] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص 67.

[4] ابن ذريل عدنان: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص44.

[5] المرجع نفسه، ص44.

وقد عرف كل من "والاك René Wellek" و"فاران Austine Warren" الأسلوب بأنه يمكن أن يحدد من ركن زاوية علاقة الألفاظ بالأشياء، ثم يردفان أنه يحدد أيضا من خلال روابط الألفاظ بعضها ببعض وكذلك من خلال علاقة مجموع الألفاظ بجملة الجهاز الذي تتنزل فيه[1].

غير أن الذي كشف عن أبعاد هذا المقياس التعريفي وسبر عمقه بتنزيله ضمن وظائف الكلام عموما إنما هو "جاكبسون"، حينما عرف النص الأدبي بكونه خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حتما إلى تحديد ماهية الأسلوب بكونه «الوظيفة المركزية المنظمة» لذلك كان النص _ حسب جاكبسون _ خطابا تركب في ذاته ولذاته.[2] وهذا المعطى مغاير للرؤى السابقة، فقد سلط الضوء على النص (الخطاب).

كما أن هناك اتجاها اهتم بتحديد الأسلوب من منظور المتلقي إذ إن الأسلوب مرتبط بردود أفعال القراء حيث يرى "ستاندال Stendhal" أن الأسلوب جوهر كامن فيما تضفيه على الفكر بما يحقق كل التأثير الذي صيغت من أجله، ويتبنى "فلوبير" نفس المنحى إذ يعرف الأسلوب بأنه سهم يرافق الفكرة ويحز في متقبلها.[3]

ويعرف "ميشال ريفاتيرMichael Riffaterre" الأسلوب باعتباره قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة «أبرز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها تشوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر والأسلوب يبرز».[4]

ويقول "ريمون طحان": «اللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج والأسلوب مجموعة من الإمكانات تحققها اللغة ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب الناجح أو

[1] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص 91.
[2] المرجع نفسه، ص 92.
[3] المرجع نفسه، ص 82.
[4] مصلوح سعد: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، بيروت، ط3، 2002، ص42.

صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى فحسب بل ينبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب»[1].

وإذا تأملنا فحوى هذا التعريف نجد أن الأسلوب يوصلنا إلى المعنى والفكرة، وبانعدام هذا الأخير ينعدم المعنى.

ومما سلف ذكره نخلص إلى وجود اختلاف في تحديد مفهوم الأسلوب بحسب زاوية النظر فهناك من ربطه بالباث، وهناك من حصره بالخطاب في حد ذاته، وآخر بالقارئ إلا أن الأسلوب يبقى مرتبطا بالعناصر الثلاثة _المخاطب، المخاطَب والخطاب_.

ونحن في معرض الحديث عن الأسلوب والوقوف على أهم تعاريفه، من المهم أن نشير إلى الجهود العربية سواء قديما أو حديثا محاولين إبراز الوعي المبكر لدى العرب بهذه المسألة، دون التأسيس لها كعلم مستقل بقواعده وقوانينه، ويظهر ذلك جليا من خلال معالجتهم لعدة قضايا نقدية وبلاغية، وكذا قضايا الإعجاز القرآني.

- عبد القاهر الجرجاني:

يرتبط مفهوم الجرجاني للأسلوب بمفهومه للنظم من حيث هو نظم للمعاني وترتيب لها وهو يطابق بينهما من حيث كانا يمثلان تنوعا لغويا فرديا يصدر عن وعي واختيار، ومن حيث إمكانية هذه التنوعات في أن تصنع نسقا وترتيبا يعتمد على إمكانات النحو... وعلاقة النظم بالأسلوب هي علاقة الجزء بالكل... وهكذا فإن النظم يتحقق عند "الجرجاني" عن طريق إدراك المعاني النحوية، واستغلال هذا الإدراك في حسن الاختيار والتأليف...ويتضح تحليل "الجرجاني" الأسلوبي من خلال تحليله لآيات قرآنية وأبيات شعرية، إذ يقوم بتحليل جزئيات التركيب وأسلوب الأداء من حيث التقديم

[1] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص 85.

والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والإضمار، والتكرار... والأسلوب عند "الجرجاني" الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فجيء به في شعره.[1]

- ابن خلدون:

كما أن ابن خلدون يقول في مقدمته أثناء حديثه عن الشعر والأدب: «ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة صناعة الشعر_ وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه. ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب؛ ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان»[2]

الأسلوب في نظر ابن خلدون قالب ذهني تنصب فيه التراكيب اللغوية بشكل يفي بمقصود الكلام ويتلاءم مع فن القول.

كما أن هناك جيلا ثانيا من الأدباء العرب الذين اهتموا بقضايا الأسلوب وحاولوا إضافة إضاءات حول هذا الموضوع سواء باستنادها إلى منجزات القدامى أو الغربيين ومن هؤلاء نذكر:

- أمين الخولي:

حاول "الخولي" التجديد في ميدان البحث البلاغي وربطه بالمباحث الحديثة في مجال الأسلوب عند الغربيين ... وانطلق "الخولي" من مقولة "بيفون": «الشخص هو الأسلوب» أو «الأسلوب هو الشخص»، فهو يربط بينهما على المستوى الفردي والمستوى

[1] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسرة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2007، ص 15، 16.
[2] بوملحم علي: في الأسلوب والأدبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1995، ص 10، 11.

الاجتماعي، ثم ربط بين الأسلوب وطبيعة المبدع والمتلقي. ومن خلال المقارنات بين البلاغة القديمة والبلاغة الحديثة _على حد تعبيرهم_ يطرح "الخولي" ألوانا من التخلية والتخلية بالنسبة لبلاغتنا تأخذ طابعا عصريا. ويتحدث عن خطوات الإيجاد والترتيب والتعبير، ويرسم خطة يستطيع بها فن القول أن يرتقي.[1]

- أحمد الشايب:

كما نجد أحمد الشايب يفكك الظاهرة الأدبية إلى عناصر أربعة هي: العاطفة والفكرة والخيال ثم يضيف: «وأخيرا نجد العبارة اللفظية التي قد تسمى الأسلوب (style) وهي الوسيلة اللازمة لنقل أو إظهار(كذا) ما في نفس الأديب من تلك العناصر المعنوية (...) ومن هنا نستطيع أن نعرّف الأدب بأنه الكلام الذي يعبر عن العقل والعاطفة».[2]

ويعرف الأسلوب تعريفات مختلفة منها الأسلوب فن من الكلام يكون قصصا أو حوارا، أو تشبيها أو مجازا، أو كناية أو تقريرا أو حكما أو أمثالا. والأسلوب: طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير.

والأسلوب هو الصورة اللفظية التي تعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال، أو العبارات اللّفظية المنسّقة لأداء المعاني.[3]

2- الأسلوبية:

الأسلوبية كمصطلح نقلت ترجمته من من اللفظ الأجنبي (Stylistics) فهي كلمة مركبة من وحدتين: الجذر، الأسلوب (stylus) التي تعني أداة الكتابة، أو القلم في الأصل اللاتيني، ومن اللاحقة "يّات"، "ics"_في الأسلوبيات_ المكوّنة هي بدورها من الوحدة

[1] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص 25.
[2] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص 110، 111.
[3] المرجع نفسه، ص 26، 27.

المورفولوجية* "يّة "، "ic" التي تفيد النسبة، وتشير إلى البعد المنهجي والعلمي لهذه المعرفة. ومن "ات"، "s"، الدالة على الجمع. كل هذه الوحدات مجتمعة تشكل علوم الأسلوب. أما الأسلوبية التي روج لها عبد السلام المسدي فهي آتية من المصطلح الفرنسي "stylistique" المكون من وحدتين: الجذر أسلوب "style"، الذي هو ذو مدلول إنساني، واللاحقة "يّة"، "ique" التي هي صفة للعلم؛ لأن تفكيك الوحدتين إلى مدلوليهما الاصطلاحي يعطي عبارة علم الأسلوب "science de style".[1]

وعلى الرغم من تعدد الترجمات للمصطلح إلا أن الأسلوبية أو الأسلوبيات أو علم الأسلوب كلمات مشتقة من علم الأسلوب، تشكل اتجاها نقديا واحدا.

وقد ظهرت خلال القرن التاسع عشر في النقد الغربي حيث يذكر نور الدين السد أن "فون درجابلنتس1875" يطلق مصطلح الأسلوبية «على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، أو هي ما يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب، وما يؤثره في كلامه عمّم سواه، لأنه يجده أكثر تعبيرا عن أفكاره ورؤاه».[2] في حين يرى "عبد المنعم خفاجى" أن الدارسين يرون في تحديدهم لمولد علم الأسلوب فيما أعلنه العالم الفرنسي "جوستاف كويرتنج" عام 1886 في قوله: «إن علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى الآن.. فوضعوا الرسائل. يقتصرون على تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم. طبقا للمناهج النقدية، لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أو ذاك، وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف عن أوضاعها الأسلوبية في الأدب، ولشد ما نرغب في أن تشغل هذه البحوث أيضا بتأثير

*** المورفولوجية أو الميتاأصوات: وتضم صورا صوتية ونغمية وذلك حسب توزيع الفونيمات إلى وحدات تقطيعية.**

[1] رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، دط، دت، ص3.

[2] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، ج1، دار هومة للطبعة،الجزائر، دط، 2010، ص11.

بعض العصور والأجناس على الأسلوب، وبالعلاقات الداخلية لأسلوب بعض الفترات بالفن، وبشكل أسلوب الثقافة عموما».[1]

يرى أغلب مؤرخي الأسلوبية أن "شارل بالي" تلميذ "دي سوسير" وخليفته في كرسي علم اللغة العام بجامعة "جنيف" أصل علم الأسلوب وقواعده النهائية، فقد نشر عام 1902 كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي"، ثم أتبعه بدراسات أخرى. أسس بها علم أسلوب التعبير، فيعرفه على أنه: «العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية».[2]

ومنذ سنة 1941عبّر "ماروزو Jule Marouzeau" عن أزمة الدراسات ؛ وهي تتذبذب بين موضوعية اللسانيات، ونسبة الاستقراءات، وجفاف المستخلصات، فنادى بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنان الشجرة اللسانية العامة. [3]و هذا ما نادى به "كراسو Marcel Cressot" [4]، ودعم هذا الرأي كل من "جاكبسون Roman Jakobson"من خلال محاضرته "اللسانيات والشعرية" التي بشر فيها بسلامة الجسر الواصل بين اللسانيات والأدب و" ت.تودوروف Tzvetan Todorov " سنة 1965 بإصداره لأعمال الشكلانيين الروسيين مترجمة إلى الفرنسية، و"م. ريفاتير Michel "Reffaterre [5] الذي ينتهي إلى أن «الأسلوبية لسانيات تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معبر، وإدراك

[1] خفاجي محمد عبدالمنعم: الأسلوبية .. والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1412-1992، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص 37.

[4] المرجع نفسه، ص36.

[5] المرجع نفسه، ص38، 39، 40.

مخصوص»[1]، وكذا يبارك "س.أولمان Stophen Ulmann" سنة 1969 استقرار الأسلوبية علما لسانيا نقديا، [2] وسواهم من الباحثين.

[1] عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م-1422هـ،ص123.

[2] المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص40.

المبحث الثاني: الأسلوبية مدارسها وعلاقتها بعلوم اللغة

1- المدارس الأسلوبية:

لقيت الأسلوبية اهتماما بالغا من قبل الدارسين والسر في ذلك يكمن في التشعب الذي شهدته موضوعاتها، كل هذا أفضى إلى تعدد حقولها واتجاهاتها ونذكر من بينها:

أ-الأسلوبية التعبيرية:

أسس هذا الاتجاه اللساني "شارل بالي" الذي درس اللغة من جهة المخاطب والمخاطَب، وانتهى إلى أنها _أي اللغة_ لا تعبّر عن الفكر إلا من خلال موقف وجداني[1]، فللمتكلم إحساس باللغة، واللغة علاقة تأثير وتأثر، فللبعد العاطفي حضور عند التفكير في نظام اللغة، ومن هنا كان "شارل بالي" يلح على ضرورة العلاقة بين الضوابط الاجتماعية والنوازع النفسية في نظام اللغة، فالأسلوبية ليست بلاغة وليست نقدا. إنما مهمتها البحث في علاقة التفكير بالتعبير، وإبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفق بين رغبته في القول وما يستطيع قوله.[2] أي أنه يرى أن الأسلوبية التعبيرية تركز على اللغة عامة وعلى بعدها التأثيري بصفة خاصة وكذا ارتباطها بالعاطفة.

ب-أسلوبية الانزياح:

تقوم أساسا على فرض تقابل بين لغة الأدب (الرفيعة) ولغة المعيار النحوي، المستعمل في العرف (أي اللغة الاصطلاحية) مما يؤلف نحوا ثانويا مكونا من صور الانزياح *أو الانحراف. ويعني ذلك خرقا للمعيار كالرخص الشعرية أو التمثيل

[1] بوحوش رابح: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص32.

[2] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 62.

* الانزياح: الانتهاك، الانحراف، المخالفة، أي الخروج عن المألوف.

الدلالي في الاستعارة؛ أو مكونا من تقييد إضافي للمعيار كاستخدام التوازي أو التقابل وغيرها[1]. أي أنها تعنى بالخروج عن المألوف إذ ترقى بالمعنى الحقيقي إلى المجاز.

ت- الأسلوبية الصوتية:

أشار "جاكبسون" في مقالاته إلى بعض المسائل المهمة من بينها ميل الشعر إلى نموذج مقطعي متكرر من قوافي الأبيات أو ميله في نماذج أخرى إلى نوع من المقاطع الطويلة والقصيرة وفرق بين أنواع الشعر الحر والمبني على الوحدة العروضية وتقسيم البيت الشعري إلى أقسام باستخدام المقاطع المنبورة وغير المنبورة فهذه المسائل التي أشار إليها تعتبر في حقيقة الأمر النواة الحقيقية للأسلوبية الصوتية وتهتم بثلاثة فروع أولها دراسة الأصوات محددة وثانيها دراسة الإيقاع وتأثيره الجمالي في القصيدة وثالثهما دراسة العلاقة بين الصوت والمعنى فالأسلوبية الصوتية تدرس جروس الألفاظ والحرف، وتهتم بالنغمة والتكرار وردّ الكلام على بعضه البعض وإشاعة أنواع التوازن المختلفة كما ترى الأسلوبية الصوتية أن الإيقاع لا يقتصر وجوده على الشعر وإنما هو موجود في النثر أيضا.[2]

ث- الأسلوبية السيميائية:

هي أنموذج اقترحه "هنرش بليث" يقوم على أسلوبية الانزياح لكنه يعمل في الوقت نفسه على المستوى التداولي للخطاب فهو يعيد تشغيل نسق الصور البلاغية القديمة الذي يستند إلى مبدأ الانزياح والأثر الانفعالي، وهو تطوير لجهود مجموعة من المنظرين منهم

[1] الحربي بدري فرحان: الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م-1424هـ، ص19.

[2] ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص154،153.

"تودوروف" ومجموعة "ليسنج". وينطلق من الصورة البلاغية بوصفها الوحدة اللغوية التي يتشكل أو يتكون فيها الانزياح فيكون فن العبارة نسقا من الانزياحات اللغوية.[1]

ج- الأسلوبية السياقية/التلقي:

أبرز ممثليها "ريفاتير"، وتقوم على المفارقة المتولدة عن الانزياح أيضا، لكن قاعدة المقارنة في الانزياح، هذه المرة تكون داخل النص وليس خارجه، فهي ناتجة عن إدراك عنصر نصي متوقع متبوعا بعنصر غير متوقع. والأسلوب هنا يعني وجود خصائص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع السياق والبيئة وهو يشمل السياق والمفارقة وهذه الأصناف الأربعة من البحث الأسلوبي يكون التركيز فيها على عنصر واحد من عناصر الأنموذج التواصلي الذي اقترحه "جاكبسون" مما يسمها جميعا بطابع الجزئية والتجريد فكل واحدة منها تمثل زاوية نظر معينة للموضوع.[2]

ح- الأسلوبية الإحصائية:

هي التي تسعى إلى معرفة الخصائص الأسلوبية للنص عن طريق الكم والإحصاء أي أنها تبعد الحدس لصالح القيم العددية، ويجتهد لتحقيق هذا الهدف إما بتعداد العناصر المعجمية في النص وإما بالنظر إلى متوسط طول الكلمات والجمل أو قصرها ورؤية العلاقات بين هذا الطول والقصر أو العلاقات بين الحروف والأسماء ومن نصوص أخرى، ويلاحظ أنه كلما كانت المقاييس المعتمدة متنوعة، كانت الإجراءات الإحصائية دقيقة وكلما كان المتن المحلل واسعا كانت نتائج الإحصاء أقرب إلى الأكيدة وفي هذه الحالة يمكن الاستعانة بالحاسوب.[3]

---

[1] الحربي بدري فرحان: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص22،21.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] ياعيسى عبد القادر علي: في مناهج القراءة النقدية الحديثة، دار حضرموت، صنعاء، ط1، 2004، ص67.

وقد أدرك الباحثون على اختلاف تخصصاتهم أن استعانة أي منهم الإحصاء لا يلزم عنه بالضرورة أن يكون متخصصا فيه، فالتعاون بين مختلف العلوم في إضاءة المشكلات المشتركة وحتما أمر أصبح ضرورة لا محيد عنها في العلم.[1]

مما سلف ذكره نرى أن الأسلوبية الإحصائية تعتمد منهج رياضي يعمد إلى إخضاع الوحدات اللغوية إذ أننا بواسطتها نتمكن من مقارنة النصوص مع بعضها البعض انطلاقا من إحصاء الوحدات اللغوية، لكن الكم وحده لا يكفي للوصول إلى القيمة النصية فهذا بمثابة إلغاء للثروة الفنية الموجودة في النصوص.

2-علاقة الأسلوبية بعلوم اللغة:

أ-علاقة الأسلوبية بعلم اللغة:

علاقة الأسلوبية بعلم اللغة هي علاقة منشأ ومنبت، ووفق ما يرى بعض الباحثين تتحدد الأسلوبية بكونها أحد فروع علم اللغة، إلا أن اعتمادها على وجهة نظر خاصة تميزها عن سائر فروع علم اللغة، إلا أن اعتمادها على وجهة نظر خاصة تميزها عن سائر فروع الدراسات اللغوية، فالأقرب إلى المنطق اعتبارها علما مساوقا لعلم اللغة، لا يعنى بعناصر اللغة من حيث هي بل بإمكانياتها التعبيرية وعلى هذا الأساس يكون لعلم الأسلوب الأقسام نفسها التي لعلم اللغة.[2]

وبوجود كيان أسلوبي مستقل بدأ يعرف خطواته للتشكل والنمو عندما خطا علم اللغة في بداية هذا القرن خطوات منهجية واسعة.[3] وأدى الارتباط التاريخي بين الأسلوب وعلم اللغة ببعض مؤرخي النقد إلى أن يقعوا في الخلط فصاروا يعدّون أي تناول للأدب يظهر اهتماما واضحا بالمظاهر اللغوية (الخيال، البنية الصوتية، النحو، ...) من الدراسة

[1] مصلوح سعد: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، مرجع سابق، ص36.

[2] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص40.

[3] درويش أحمد: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مرجع سابق، ص45.

الأسلوبية[1] إلّا أنّ علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، في حين أن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد.[2]

ولقد كان الظن بالأسلوبية أنها علم لن يلبث حتى يحظى بالاستقلال وينفصل كليا عن الدراسات اللسانية. ذلك لأن هذه تعنى أساسا بالجملة، والأسلوبية بالإنتاج الكلي للكلام، واللسانيات تعنى بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، والأسلوبية تتجه إلى المُحدَث فعلا، بينما اللسانيات تهتم باللغو من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي مباشرة، هذا إلى جملة الفروق الأخرى. ولكن اللسانيات ما لبثت أن تطورت تطورا سريعا، فانتقلت من دراسة الجملة كمنجز بالإمكان إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، كما انتقلت من دائرة التركيب في النحو إلى دائرة تركيب بناء النص، واتسعت ميادينها فغطت ما كان يعتبر من خصوصيات غيرها، ولامست العلوم والتحمت الدراسات الأسلوبية عن طريقها وهكذا نرى أن مع تطور اللسانيات منهجا وميدانا تطورت الأسلوبية أيضا ونضجت واكتملت وصارت علما له خصوصياته إلا أنها لم تقو على مغادرة دائرة اللسانيات فظلت فرعا من فروعها.[3]

كما أن الأسلوب هو الوجه الجمالي للألسنية، كما تجدر الإشارة إلى أن الأسلوبية تقاطعت مع لسانيات "دي سوسير" وطور معالمها "شارل بالي" في كتابه "مصنف الأسلوبية الغربية".[4]

ب- علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي:

تعد الأسلوبية مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي من خلال عناصره ومقوماته الفنية وأدواته الإبداعية، متّخذة من اللغة والبلاغة جسرا تصف به النص الأدبي، وقد تقوم أحيانا

[1] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص40.

[2] عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص168.

[3] عياشي منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ط1، 2002، ص9، 10.

[4] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مرجع سابق، ص14.

بتقييمه من خلال منهجها القائم على الاختيار والتوزيع، مراعية في ذلك الجانب النفسي والاجتماعي للمرسل والمتلقي، ومن ثمّ فإن الدراسة الأسلوبية عملية نقدية، ترتكز على الظاهرة اللغوية، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام فيه.

أما النقد فيعتمد في اختياره عنصري الصحة والجمال، الصحة مادة الكلام، أما علم الجمال فجوهره، وتكون الأسلوبية بمثابة القنطرة التي تربط نظام العلاقات بين علم اللغة والنقد الأدبي، وهي مرحلة وسطى بين علم اللغة والدراسة الأدبية فترتبط باللغة والأدب على حد سواء.[1]

والأسلوبية على الصعيد النقدي تعمل على اكتشاف طبيعة العناصر اللغوية التي جمعت تحت نسق متصل، وترفض ربط النص بعوامل خارجية بتركيزها على التحليل والفهم دون الاستناد إلى التعليل والتبرير، وهي مهمة متروكة للنقد في ربط الأدب بالقيمة، وفي استنباطه مجموعة المبادئ التي يقيس بها أعمالا تختلف في طبيعتها من الجودة والرداءة، أما الأسلوبية فإنها بما تملكه من منهج دقيق يمكن أن يتسع مجالها لكل إبداع ذي طبيعة لغوية دون الابتعاد عن جماليات اللغة، ودون أن تبتعد على قواعد مسبقة جاهزة، بل إنها ترى في النص خالقا لجمالياته من خلال صياغته، وفي هذا يفترق نص عن نص، ويختلف عمل أدبي عن آخر لا من خلال الجودة والرداءة والأسلوبية بإزالتها الحواجز بين اللغة والأدب أصبحت عاملا فعالا في قراءة النص قراءة لغوية نقدية .[2]

وفيما يتصل بعلاقة الأسلوبية مع النقد هناك رأيان:

الأول: يرى أن الأسلوبية _ وهي علم الأسلوب_ أضحت مغايرة للنقد الأدبي لكنها ليست هادمة له أو وريثه، وعلّة ذلك أنّ اهتمامك لا يتجاوز لغة النص فوجهتها _في المقام الأول _ وجهة لغوية أما النقد؛ فاللغة _عنده_ هي أحد العناصر المكوّن للأثر

[1] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص 52.

[2] عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص356، 357.

الأدبي. معنى هذا أن الأسلوبية «قاصرة عن تخطي حواجز التحليل إلى تقييم الأثر الأدبي بالاحتكام إلى التاريخ، بينما رسالة النقد كامنة في إماطة اللثام عن رسالة الأدب، ففي النقد إذا بعض ما في الأسلوبية وزيادة وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه»

فالأسلوبية إذن لا يمكن أن تكون منهجا فاهتماماتها مسلطة على الجانب اللغوي.

أما الثاني فهو مخالف لسابقه فيذهب إلى أن النقد: «قد استحال إلى نقد للأسلوب وصار فرعا من فروع علم الأسلوب، ومهمته أن يمد هذا العلم بتعريفات جديدة ومعايير جديدة، ويعني هذا الرأي أن النقد سيقصر بحثه على الجانب اللغوي للنص الأدبي وسينصرف عما عداه من عوامل وظروف مختلفة تشكل جانبا مهما في العملية النقدية مما يؤدي إلى محو النقد وقيام الأسلوبية وحدها التي لا تستطيع أن تكون عوضا عن النقد الأدبي فالأسلوبية والنقد موجودان في خطين متوازيين لا يندمجان وإن كانا يتقاطعان في بعض النقاط.[1]

في حين نجد من أضاف وجهة رأي ثالثة والتي تذهب إلى أن العلاقة بين الأسلوب والنقد هي علاقة جدلية قائمة على ما يمكن أن يقدمه كل طرف للآخر، فكلاهما يستطيع أن يمد الأخر بخبرات متعددة استقاها من مجال دراسته.[2]

ت- الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة:

لم تبق البلاغة في استقرار وثبوت من ناحية الشمول والاتساع وكذا الفائدة حالها حال معظم العلوم الإنسانية فالبلاغة كانت مرتبطة بتأليف الخطاب ثم احتوت التعبير اللساني كله، وبتداخله مع الفنون الشعرية احتضنت جميعا إلا أن هذا الوضع لم يكتب للبلاغة أن تحتفظ به وهذا جراء بروز علم جديد من عباءة اللسانيات، واستوائه علما

[1] فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مرجع سابق، ص 37، 38.

[2] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص54.

متميزا ذا مناهج خاصة، وتوجهات معينة على مستويي التنظير والممارسة معا وهو "الأسلوبية".[1]

إن الحديث عن الأسلوبية من حيث هي علم له متصوراته، وله مقاييسه في التعامل مع "الخطاب الأدبي"؛ ومنها علم البلاغة، لا تعني المقاطعة النهائية بين علم البلاغة وعلم الأسلوب، وتتجلى عناصر المفارقة في مجموعة من النقاط ولعل من أهمها:

يعد علم البلاغة علما بلاغيا معياريا يرسم الأحكام ويرمي إلى تعليم مادته وموضوعه وأحكامه بمقتضى أنماط مسبقة له وتصنيفات جاهزة، ويعمل على خلق الإبداع بوصايا تقسيمية كما أنه يفصل الشكل عن المضمون ويعتبر الانزياحات وسواها من الظواهر عوامل مستقلة تعمل لحساب البلاغة الخاص. ويُدرس الخطاب الأدبي في جزئياته. في حين أن الأسلوبية علم وصفي ينقي عن نفسه المعيارية، لا يطلق الأحكام التقييمية ويحدد بقيود منهج العلوم الوضعية كما يسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها ولا يقدم وصايا لكيفية الإبداع الأدبي بالإضافة إلى أنه لا يفصل بين الشكل والمضمون، والأسلوبية تدرس الخطاب دراسة شمولية من حيث الظاهر والباطن.[2]

غير أن هذه الفروق المشارة لا تعني بالضرورة إلى انفصال العلمين عن بعضها البعض إذ أن هناك قضايا تشترك فيها الأسلوبية مع البلاغة وخاصة إذا تناولت الأسلوبية بالتحليل قضايا بلاغية في الخطاب الأدبي تشكّل علامات أسلوبية فيه.[3]

وعندما ننظر إلى البلاغة العربية القديمة ندرك قيامها على جدلية ثنائية بين الشكل والمضمون، وهذه الثنائية فرّعت مباحثها إلى اتجاهات وهذه الأخيرة معظمها قامت على أساس وصفي من دراسة النماذج الأدبية الراقية للشعراء والناثرين، وقبل هؤلاء وأولئك

[1] المرجع السابق، ص 61.

[2] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مرجع سابق، ص 28.

[3] المرجع نفسه، ص 29.

دراسة النموذج القرآني باعتباره المثل الأعلى في الأداء الفني الذي يبلغ مرتبة الإعجاز، ورصد الحسن في الأداء الفني بكل ألوانه المعروفة هو بداية الدرس البلاغي والنقدي القديم غير أن هذا المنهج الوصفي لم يستمر حيث انقلب إلى معيارية خالصة اعتبر فيها البلاغيون أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي وتصوروا أنهم بهذا المنهج قد استوعبوا مجال القول وفنونه.

ومن الملاحظ أنهم اتجهوا بكل ذلك _كما فعلت الأسلوبية_ إلى الخطاب الفني دون الخطاب العادي وأدركوا أن الوسائل التعبيرية البارزة هي مناط الاهتمام وتغاضوا عن جوانب أخرى كثيرة وهامة في الأداء الفني كالجوانب النفسية والاجتماعية.[1]

هناك عبارة ما تزال تردّد على مستوى الدراسات الأسلوبية المعاصرة مفادها «أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثتها المباشرة معنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة وهذا ما أكده "بيير جيرو" فهو يؤمن بأن الأسلوبية وريثة البلاغة، وهي بلاغة حديثة، ذات شكل مضاعف، إنها علم التعبير ونقد الأساليب الفردية.

أما "شكري عيّاد" فيرى أن الأسلوبية ذات نسب عريق في العربية لذلك أصدر كتابه "مدخل إلى علم الأسلوب" بقوله: «ولكنني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا، لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة»[2].

[1] عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص 258، 259.

[2] أبو العدوس يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص61، 62.

المبحث الثالث: الخطاب

تعددت سبل مقاربة مفهوم الخطاب، وتشعبت الأقاويل بشأنه بسبب تنوع التخصصات المعرفية، وتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، إلا أن ذلك لم يقف حائلا أمامه في أن "يحتل موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجال تحليل النصوص، حيث برزت للوجود شعب دراسية في اللسانيات والفلسفة والأدب جعلت منه ركنا رئيسا ضمن مقرراتها، واتخذته عناوين لفروع معرفية مختلفة، وغدا كل مؤلف يتناول اللغة الإنسانية من جانبها التواصلي لا بد أن يجعل أساسه الخطاب وهدف تحليله."[1]هذا وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب كما ورد عند الغربيين مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه"[2].

1- مفهوم الخطاب:

الخطاب بالكسر وتخفيف الطاء المهملة على ما في المنتخب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام. وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب.[3] وفي اللغة العربية مشتق من مادة (خ ط ب)، التي تشير إلى عدد من الدلالات اللغوية.

جاء في لسان العرب: «...والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان... والمخاطبة مفاعلة، من الخطاب والمشاورة. قال الليث: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخُطبة... إن الخطبة مصدر الخطيب، ولا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر»[4].

---

[1] فؤاد بوعلي، مناهج تحليل الخطاب، منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين، الرابط: http: //egyfroums.com

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، مارس 2004 م، ص 35.

[3] التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ص749.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج 1، مرجع سابق، ص361.

فالخطاب إذن حسب ابن منظور مرادف للكلام ويقصد الكلام الوارد بين شخصين بتوفر عنصر التخاطب أي المشاركة بين الطرفين.

كما جاء في "أساس البلاغة" ما يلي: «خطب: خاطبه أحسن الخطاب، والخطاب هو المواجهة بالكلام... وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول: خطب... واختطب القوم فلانا: دعوه إلى أن يخطب إليهم...ونقول له: أنت الأخطب البيّن الخطبة، فتخيل إليه انه ذو البيان في خطبته»[1]. أو هو "عبارة عن نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة، مع عدم الإثقال على السامع"[2]. أي إن الخطاب هو نظام القول المحاجج والمجادل.

"فالخطاب يقتضي حوارا ومشاركة، ولا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة، وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه".[3]

ومما سبق يمكن القول إن الدلالة اللغوية لمادة (خ ط ب) تضمنت عدة مدلولات، والتي تشكل بمجموعها المعنى اللغوي لمصطلح الخطاب عند العرب القدامى الذي يقارب المدلول اللغوي للخطاب في الدرس اللساني المعاصر إن لم نقل يطابقه.

اهتم العلماء العرب بتقديم مفهوم للخطاب لاهتمامهم بدراسة الخطاب القرآني والذي نتج عنه فروع متعددة لدراسة الأدب من لغة وبلاغة وفقه وتفسير. وترجع الريادة في

---

[1] الزمخشري: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1992، ص 167، 168.

[2] الحميري عبد الواسع: الخطاب والنص "المفهوم – العلاقة – السلطة "، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م، ص11.

[3] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998 م، ص: 419.

الاهتمام بالخطاب عند العرب إلى علماء التفسير من خلال شرحهم وتفسيرهم لمفردة "الخطاب" التي وردت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة[1] بصيغ متعددة، فنجده تارة

بصيغة الفعل: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[2]

وتارة بلفظ الخطاب بمعنى مخاطبة وكلاما: لا يملكون منه خطابا، ليس لهم الحق في المخاطبة في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[3] قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]

وفصل الخطاب: الخطاب الفصل، الذي يفصل بين الحق والباطل في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[5] ويرى الزمخشري في هذه الآية مفسرا "فصل الخطاب" بقوله: «إنه الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس»[6]

وهذا ما سنورد له في الخطاب القرآني بالشرح.

أما الدراسات العربية الحديثة فقد مالت إلى الأخذ بالمفهوم الغربي لمصطلح الخطاب، ولذلك نجد تشابها بين تعريفات العرب المحدثين، وتعريفات الغرب، ولا سيما بعد تأثرهم واحتكاكهم بالدراسات اللسانية الغربية، وخاصة بعد ظهور كتاب دي سوسير " محاضرات في اللسانيات العامة " الذي فرق فيه بين اللغة والكلام.

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، مصر، د ط، 1364 هـ - 1945م، ص 253.

[2] سورة الفرقان، الآية 63.

[3] سورة النبأ، الآية 37.

[4] سورة ص، الآية 23.

[5] سورة ص، الآية 20.

[6] مدكور إبراهيم: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج 1، جمهورية مصر العربية: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، طبعة منقحة، 1988، ص 390.

وتجدر الإشارة إلى ريادة الباحثين المغاربة في ترجمة مصطلح الخطاب، واستعماله في بحوثهم الحديثة، وذلك لقربهم من البيئة الغربية التي ظهر وتطور فيها مصطلح الخطاب، ولعل أبرزهم "عبد السلام المسدي"، و"محمد مفتاح"، "سعد مصلوح "و"عبد المالك مرتاض".

ويعرف "عبد السلام المسدي" الخطاب بقوله: «إن ما يميز الخطاب هو انقطاع وظيفته المرجعية لأنّه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجيا إنّما وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع والمنقول في الوقت نفسه»[1] ؛ فالوظيفة المرجعية هي التي تحدد تميز الخطاب من عدمه، فانقطاع الوظيفة المرجعية للخطاب تجعله يشكل علاقات إحالية تكتفي بذاتها، إذ يؤدي غيابها – حسب "نور الدين السد" في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب – إلى جعل الخطاب متميزا لا نظير له في الواقع، بسبب أن الخطاب لا يعنى بتصوير الأحداث كما هي في الواقع، وإنما يعنى بتصوير الواقع بلغة مميزة تخلق عالما مختلفا عن العالم الواقعي، وذلك باستعمال تقنيات أسلوبية جمالية.

أما الباحث "سعد مصلوح" فقد اشترط في الخطاب الشفرة المشتركة بين المتكلم والمستمع حيث يرى أنّ الخطاب " رسالة موجهة من المنشئ للمتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالية التي تكون نظام اللغة "[2].

فالخطاب حسب "سعد مصلوح" لا تتحقق وظيفته التواصلية إلا من خلال علم طرفي العملية الخطابية بمجموع الأنماط الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة أي القناة، وبهذا المنظور يكون "سعد مصلوح" قد أهمل الوظائف الأخرى التي يحققها الخطاب إضافة إلى الوظيفة التواصلية، كالشعرية والتعبيرية.

[1] المسدي: عبد السلام الأسلوب والأسلوبية، مرجع سابق، ص 106.

[2] السد نور الدين: الأسلوبية و تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 68.

يقابل لفظ الخطاب عند الغرب اللفظ الفرنسي "Discours " المأخوذ من أصل لاتيني وهو الاسم " Discursus" المشتق من الفعل " Dscurrere " الذي يعني الجري هنا وهناك أو الجري ذهابا وإيابا، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة والارتحال [1].

إذا كان أصل مفهوم الخطاب في التراث العربي، ومصدر نشوئه دينيا أصوليا، فإنّه في التراث الغربي فلسفي، فبالرغم من انتماء المصطلح إلى حقل اللسانيات، إلا أنّ جذوره ترجع إلى " اللوغوس Logos "حيث" انحصر مفهومه في حدود المعنى الذي يظهره الكلام، وأصبحت مهمته منذ ذلك الحين منحصرة في تخليص المعنى ممّا هو ظني ونسبي ومتغيّر؛ لأنّه ذو طبيعة عقلية "[2].

ولعل أول محاولة لتعريف الخطاب عند الغرب ترجع إلى أفلاطون، "حيث يتماثل المقال مع العقل (لوغوس) بُذلت أول محاولة لضبط المقال وعقلنته وبناء منطقه على قواعد تستمد من داخل المقال نفسه أكثر مما تستمد من أصل خرافي أو وضعي يفرض بداهته على المقال"[3].

أما في الدراسات اللغوية الحديثة نجد من الباحثين من يرى أنّ النشأة الأولى لمفهوم الخطاب عند الغرب، ترجع إلى "فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure"

من خلال كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي فرّق فيه بين اللغة والكلام، فاللغة عنده هي "جزء جوهري من اللسان، وفي الوقت ذاته نتاج اجتماعي لملكة اللسان"[4]، والكلام عنده ظاهرة فردية، وأيضا بلورته لمفهوم النسق أو النظام الذي تطور فيما بعد إلى بنية. ومنه يمكن القول أنه رغم انتباه دي سوسير إلى الكلام، ووعيه

[1] حجازي عبد الرحمن: الخطاب السياسي دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 19.

[2] حميري عبد الواسع: الخطاب والنص "المفهوم – العلاقة – السلطة "، مرجع سابق، ص89.

[3] مغني زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1986م، ص 771.

[4] بوحوش رابح: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، 2006 م، ص 17.

بضرورة وجود طرفين في العملية التخاطبية، إلا أنّ اهتمامه انصب على اللغة فقط؛ لأنها عبارة عن منظومة رموز تخضع لنظام معين يتجسد من خلال وحدة قابلة للوصف والدراسة، في حين أنّ الكلام عبارة عن صور مختلفة لا يمكن حصرها، ودراستها في الواقع؛ فالكلام عبارة عن "خطاب يتشكل بمجرد حدوث تواصل بين المتكلم والسامع"[1].

هذا ويكاد يجمع كل الباحثين الغربيين في مجال الدراسات اللغوية اللسانية الحديثة، وتحليل الخطاب والنقد، على ريادة "ز. هاريس Z. Hariss" في استعمال مصطلح "الخطاب" وتعريفه، وذلك من خلال بحثه "تحليل الخطاب" (1952م)، إذ يعتبر أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني، بجعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب بكامله[2]، ومن هذا المنطلق جاء تعريفه للخطاب من منظور لساني بحت، فيعرفه بأنّه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة؛ يمكن من خلالها، معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[3] .

واعتمادا على ما سبق يمكن القول إنّ "هاريس" حاول أن يُخضع الخطاب إلى المنهج التوزيعي لإبراز أهمية هذا الأخير، وإنّ الخطاب عنده عبارة عن متتاليات من الجمل، ترتبط فيما بينها بواسطة علاقات معينة، التي تتوزع بموجبها هذه الجمل التي تشكل الخطاب.

وفي المقابل نجد الباحث الفرنسي "إميل بنفينيست Emile Benveniste" قد رفض حصر الخطاب كموضوع لساني في الجملة "التي نظر إليها هاريس بوصفها وحدة الخطاب، ليرفض من ثم التوقف عند حد الملفوظ بوصفه الموضوع اللغوي المنجز

[1] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، دط، 2005، ص79.

[2] الحميري عبد الواسع: الخطاب والنص "المفهوم – العلاقة – السلطة "، مرجع سابق، ص90.

[3] يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1989م، ص17.

والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، ليقيم بدلا عن ذلك، مفهوم التلفظ[1] Enonciation؛ وهو الفعل الحيوي في إنتاج نص ما وهو مقابل للملفوظ Enonce باعتباره الموضوع الذي انتهى من إنجازه فاستقل عن الذات المنجزة، وبالتالي فموضوع الدراسة عنده هو التلفظ وليس الملفوظ[2].

كما يرى "بنفينيست" إضافة إلى موضوع الدراسة، أنّه بالحديث عن الخطاب نكون قد غادرنا "عالم اللغة كمنظومة من الرموز، ونلج في عالم آخر ألا وهو عالم اللغة كأداة للاتصال تجد تعبيرها في الخطاب"[3]. ومن هذا المنطلق عرّف الخطاب بأنّه " الملفوظ منظورا إليه من زاوية آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، أو هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما"[4].

وعليه يمكن القول إنّ "بنفينيست"، ومن خلال تعريفه للخطاب ركزّ على الوظيفة التواصلية للغة، والتي تتجسد من خلال الجملة باعتبارها أصغر وحدة مكونة له، قابلة للدراسة والوصف، والخطاب عنده يستلزم لحدوثه تواصلا بين طرفي العملية التخاطبية (المتكلم والمستمع).

أما الباحث "دومنيك مانغينو Dominique Maingueneau"، فقد نظر إلى الخطاب من زاوية تداولية، "فهو يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيا على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى، لا يحتمل صيغة الجمع: (الخطاب) و(مجال الخطاب) إلخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن

[1] حميري عبد الواسع: الخطاب والنص "المفهوم – العلاقة – السلطة "، مرجع سابق، ص 91.
[2] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 18 ،19.
[3] سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة، دط، 2004م، ص1.
[4] يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 19.

يكون موضوع تناول لساني صرف. غير أن مصطلح خطاب يدخل كذلك في سلسة من التقابلات حيث يكتسي قيما دلالية أكثر دقة:

_ خطاب/جملة

_خطاب/ملفوظ

_خطاب/لغة

_خطاب/نص: ينظر فيه إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص بسياقه.[1]

فمن خلال هذه التحديدات التي وضعها" مانغينو" للخطاب، يمكن القول بأنّ هذا الباحث ينظر إلى الخطاب؛ على أنه إنجاز يتم ضمن عملية تفاعلية متبادلة بين طرفين: طرف باث وآخر مستقبل شرط أن تنجز هذه العملية التخاطبية في مقام معين بكل ما يتضمنه من مكونات، إضافة إلى الشرط الثالث الذي وضعه هذا الباحث والمتمثل في التفاعل المتبادل بين طرفي العملية التخاطبية.

وفي المجال نفسه يعرف "يبار جيرو P Gouirand "الخطاب بقوله: «الخطاب يفرز الذاتية وسننه العلامية والدلالية فيكون سياقه الداخلي هو المرجع، ليقيم دلالاته حتّى لكأنّ الخطاب هو معجم ذاته»[2]نرى أن الخطاب متعلق بالذات فهو معجم يعبر عنها هذا ويقدم أصحاب معجم اللسانيات سنة (1973م)، ثلاثة تعريفات للخطاب " فهو أولا، يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو ها هنا مرادف للكلام بتحديد دي سوسير، وهو يعني ثانيا، وحدة توازي أو تفوق الجملة، ويتكون من متتالية ...لها بداية ونهاية، وهو ها هنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث فيتجلى في

[1] دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دط، دت، ص38، 39، 40.

[2] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 2، دار هومة، الجزائر، دط، 1997 م، ص 16.

استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظور إليه من وجهة قواعد تسلسل متتالية الجمل ".[1]

أما الناقد الفرنسي "ميشال فوكو M Faucault" فقد ركزّ في محاضراته " نظام الخطاب " على أنّ تشعب الأقاويل وتعدد التعاريف حول مفهوم الخطاب، يعود إلى اختلاف رؤى ومرجعيات الباحثين في النظر إلى الخطاب، لذلك كان له مفهومه الخاص للخطاب الذي تجاوز به المفهوم الألسني البحت، إذ استطاع أن ينحت لمفهوم الخطاب سياقا اصطلاحيا مميزا ؛ عن طريق استعماله الواعي والمكثف في العديد من الدراسات المختلفة، إذ يمثل الخطاب عنده " شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التّي تبرز فيها الكيفية التّي يُنتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه"[2]. هذا "ويمثل الخطاب في الفعل النقدي فعل النطق، أو فاعلية تقول وتصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله، فالخطاب إذن كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل فعل يريد أن يقول". [3]

وعليه يمكن تلخيص مفهوم للخطاب وذلك من "خلال وضع الاصطلاح الأكثر عمومية له فهو نظام تعبير متقن ومضبوط". [4]

الخطاب والنص:

أدت صعوبة وضع تعريف موحد لمصطلح الخطاب إلى تداخله مع مصطلحات متاخمة ومرادفة إلى درجة يصعب التفريق بينها، وهذا ما أكده سعيد يقطين من خلال كتابه تحليل الخطاب الروائي، " أنّه بتخطي الدراسات اللسانية عتبة الجملة نحو وحدة

[1] يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 21.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000م، ص 89.

[3] بوقرة نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط1، 1429هـ -2009م ص 13.

[4] الحربي بدري فرحان: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، ص 40.

أكبر، أصيبت المصطلحات باضطراب وتعتيم وحدوث خلط في ضبط المفاهيم، فهذه الحدة الأكبر هي عند البعض (الملفوظ)، وعند آخرين (الخطاب)، وعند آخرين (النص)... وكل واحدة من هذه المصطلحات متعدد الدلالات والمعاني، وهي أيضا تقابل بعضها الآخر، أو ترادفه في هذا السياق أو ذاك وبحسب هذا الاتجاه أو الآخر"[1]. فهناك من الباحثين من لم يفرّق بين الخطاب والنص، حيث استعمالهما بنفس الدلالة، وهناك فريق آخر من الباحثين، فرق بينهما.

فمن أصحاب الرأي الأول الذي يستعمل مصطلح الخطاب كمرادف لمصطلح النص، غريماس " حيث يستند إلى اشتراك فعلي للفظتين في أداء المعنى ذاته، ويشير إلى أنّ الخطاب والنص تستعملان تبعا لذلك على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام والطقوس المختلفة والقصص المرسومة، وعليه نقول إنّ الاختلاف لا يمس مضمون اللفظة "[2]. كما نجده أيضا عند رومان جاكبسون R.Jakobson عند تعريفه للخطاب الأدبي بأنّه " نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حقا إلى تحديد ماهية الأسلوب "[3]. ول "رولان بارث R. Barth" نفس الرأي في التسوية بين الخطاب والنص، فهو يرى أنّ النص " يظل على كل الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النص إلا خطابا ولا يستطيع أحد أن يتواجد إلا عبر الخطاب آخر؛ أي التناص"[4].

وترى "جوليا كريستيفا Julia kristeva" أنّ " النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العالم والأيديولوجيا والسياسة "[5].

[1] يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 16.

[2] بوقرة نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، مرجع سابق، ص 20.

[3] السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 2، مرجع سابق، ص: 11.

[4] المرجع نفسه، ص 31.

[5] العبد محمد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1426 هـ – 2005 م، ص 9.

أما عن "روجر فاولر Roger fowler"، فقد ورد عنده تداخلا بين مصطلحي النص والخطاب في تحديده لمعالجة "الأدب بوصفه خطابا " إذ يجمعهما في قوله: " إن كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية "[1].

من ناحية أخرى يري "فان دايك" أن المساواة بين مصطلحي النص والخطاب ينحصر في الجانب الوظيفي، بقوله: " يبدو النص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وهو كذلك مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوحيه" [2]

هذا ويظل التمييز بين النص والخطاب من زاوية كون النص في الأساس بنية في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفا هو التمييز أدبيات نظرية النص وتحليل الخطاب، بيد أن الإلحاح على ربط النص بمقاصده ووظائفه مما يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلى دوائر متشابكة[3]، يصعب فك تداخلهما.

أما أصحاب الرأي الثاني فقد أوجدوا فروقا بين النص والخطاب، أهمها ما ذهب إليه "جون ميشال آدم J. M. Adam" بأن الفارق الجوهري بينهما هو السياق، ويتجلى ذلك من خلال " معادلته:

الخطاب = النص + ظروف الإنتاج.

النص = الخطاب – ظروف الإنتاج.[4]

[1] ا العبد محمد: النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص8.

[2] يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص16.

[3] العبد محمد : النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص11.

[4] إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، جامعة منتوري، مذكرة ماجستير، قسنطينة – الجزائر، 2008 م – 2009 م، ص23.

هذا ما يؤكده "دومينيك مانغينو" فقد ذهب إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص بسياقه مثلما رأينا. فالخطاب بهذا المفهوم له صلة مباشرة بالسياق أو ما يعرف بظروف الإنتاج.

أما الباحث "ليتش" وزميله "شورت" قد نظرا إلى " الخطاب بوصفه؛ تواصلا لسانيا ينظر إليه كإجراء يتم بين المتكلم والمخاطب، في حين نظرا إلى النص بوصفه، تواصلا لسانيا ينظر إليه كمرسلة مشفرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي "[1].

وهناك من الباحثين من فرق بين الخطاب والنص بالكتابة، ومن أصحاب هذا التوجه نجد "بول ريكور" الذي يعرف النص بأنه " كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة "[2]. وهذا يعني أن الخطاب عند بول ريكور متعلق باللغة المنطوقة، أما النص فيتحدد من خلال الكتابة، فالنص بهذا المنظور عبارة عن خطاب مثبت بالكتابة. وهذا ما يؤكده "روبير سكاربيت R. scarpit" بقوله أنّ " اللغة الشفوية تنتج خطابا des discours؛ بينما الكتابة تنتج نصوصا des texts وكلاهما يحدد بالرجوع إلى القناة التي يستعملها"[3]. لذلك يعرف النص بنظامه الخطي وديمومته، أما الخطاب فإن محدوديته وديمومته مرتبطة بالمتكلم والسامع.

وهنا يمكن القول خلاصة لما سبق: إن الفرق بين الخطاب والنص حسب هذا الرأي راجع إلى اختلاف في زاوية النظر، وليس إلى طبيعة المصطلحين، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الخطاب يطلق على ما نتلفظ به، أما النص يطلق على ما نكتبه أو على ما نقرأه.

[1] حميري عبد الواسع: الخطاب والنص، مرجع سابق، ص 123.

[2] المرجع نفسه، ص 125.

[3] مدقن هاجر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2003م.

ومن بين الذين طرحوا الفارق بين النص والخطاب عند العرب المحدثين، نجد الباحث محمد مفتاح الذي يرى أنّ " النص عبارة عن وحدات لغوية منضدة متسقة، وأنّ الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة ومتسقة ومنسجمة. مضيفا قوله " نحن نجعل الخطاب أعم من النص، فالتخاطب أعم من التناص"[1].

وانطلاقا مما سبق فقد ارتبط الخطاب عند الكثير من الباحثين بالجانب المنطوق، أما النص فقد ارتبط بالكتابة، وهناك من الباحثين من فرق بين النص والخطاب بظروف الإنتاج أي السياق، ولكن في مجال اللسانيات الأمر يختلف " فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنّه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما. والنصوص وسيلة من وسائل حمل الأنشطة الإنسانية"[2]. "فالنص يمثل وحدة ملموسة مسجلة عبر وسيط ما أو على الأقل يمكن تسجيلها. وأما الخطاب فهو عنصر فكري مجرد يصعب ضبطه وتحديده في عناصر ملموسة معدودة"[3].

[1] بن سلامة إكرام: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مرجع سابق، ص 23.

[2] روبرت دي بون جراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998 م، ص 6.

[3] الشكيلي بسمة بالحاج رحومة وآخرون: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة منوبة، تونس، دط، 2008 م، ص 76.

2- الخطاب القرآني:

بالعودة إلى كتب التفسير القديمة والحديثة نجدها تتفق في شرحها لمادة (خ ط ب) التي وردت في القرآن الكريم، فقد فسر "ابن كثير" كلمة "خطبكم" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1]أي: ما شأنكم وفيم جئتم؟

وفسر "الطبري" كلمة "خطاب" التي وردت في الآية من سورة النبأ، بمعنى "لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة إلا من أذن له منهم"[2]، فجميع الخلق ذلك اليوم ساكنون لا يتكلمون. فلا يتكلم أحد إلا بشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا"[3]. ف"موقف هؤلاء المقربين من الله، الأبرياء من الذنب والمعصية. موقفهم هكذا صامتين لا يتكلمون إلا بإذن وبحساب "[4] وفسر ابن كثير مفردة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾، بمعنى "غلبني، يقال عزّ يعز إذا قهر وغلب"[5]

أما "الزمخشري" فقد فسر قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [6]. بقوله: "البين من الكلام...الذي يتنبه من يخاطب به ولا يلتبس عليه، وأردت بفصل الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ...ويجوز أن يراد بالخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممّل"[7].

---

[1] سورة الحجر، الآية 57.

[2] الطبري: مختصر تفسير الطبري، تحقيق مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ط 6، 1998 م، ص 583.

[3] السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1424 هـ – 2003 م، ص 868.

[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، م 6، دار الشروق، بيروت، ط 10، 1402هـ –1982م، ص 3809.

[5] ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج4، ص 47.

[6] سورة ص، الآية: 20.

[7] الزمخشري: تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص 210.

وعليه واعتمادا على ما ورد في كتب التفسير يمكن القول أنّه رغم تعدد السياقات التي وردت فيها مفردة الخطاب في القرآن الكريم، إلا أنه يحيل على الكلام الذي يقوم على الحوار والمشاركة.

والملاحظ مما سبق أنّ مفهوم الخطاب عند العرب القدامى عرف نضجا وتطورا.

كما أن تحديد مفهوم الخطاب لم يقتصر على ما جاء في كتب التفسير حيث تحدث الدكتور "كريم حسين ناصح الخالدي" عن الخطاب القرآني قائلا: «الخطاب القرآني هو خطاب رباني صادر من الله خالق كل شيء، لذا تنزه عن أن يشبه أي خطاب بشري شعرا أو نثرا»[1]، وقد فسر عبد القاهر الجرجاني سر تميز الخطاب القرآني عن سائر النصوص الأدبية قائلا: «وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت، وبهرت هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر. وكان محلا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة البيان، وتنازعوا فيها قصب الرهان، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض»[2]

إذن الخطاب القرآني واستنادا لما درسنا يمكننا القول أنه الكلام الموجه للآخر على وجه الإنشاء والإخبار للمكلفين طلبا ونهيا، ترغيبا وترهيبا، وكذا تذكيرا ووعدا ووعيدا ونحو ذلك بأسلوب فريد في نسجه، وهذا ما يتفق مع الأسلوبية.

[1] الخالدي كريم حسين ناصح: الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص15.

[2] الجرجاني عبد القاهر أبي بكر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط 3، 1992، ص9.

الفصل الثاني

المستوى الصوتي

المبحث الأول: الصفات.

المبحث الثاني: الفاصلة.

المبحث الثالث: المشتقات.

تعد الموسيقى القرآنية بجرسها الفريد وإيقاعها وسيلة للفت الأنظار إليه من جهة وتحديا لما عرف به العرب من تفنن وبراعة في القول، لكن الأبرز في نظم القرآن هو اختياره ألفاظا تتلاءم في صورته السمعية مع الصورة الذهنية فتخلق تناسقا ينقل القارئ إلى جو الآية وموضوعه.

المبحث الأول: الصفات

الصوت اللغوي:

"ينتج الصوت الإنساني اللغوي أثناء عملية الزفير عموما يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية والحنجرة والفم، حيث يعترض تيار الهواء المتدفق بعوائق بشكل أو بآخر حسب طبيعة الصوت المنتج والأعضاء المساهمة في إنتاجه، وهذا الاعتراض يؤدي إلى حدوث اضطراب في تيار الهواء داخل جهاز النطق فتنتج عنه موجات الهواء التي تنتقل من فم المتكلم إلى خارج أذن السامع (في أغلب الأحيان)، حيث تجري عدة عمليات ميكانيكية للصوت داخل الأذن الداخلية تتجسد في إشارات إلى الدماغ، وهناك تعلل هذه الإشارات لتمنح قيما لغوية يتم على أساسها التواصل بين المتكلم والسامع".[1]

الحرف:

أطلق بن جني مصطلح الحرف على الموضع الذي ينقطع فيه الصوت الخارج مع النفس مستطيلا متصلا في موضع معين من الجهاز النطقي فقال: «إن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقطع يثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»، وجعل لفظ الحرف مرادفا للمخرج. وكان ابن سينا قد أطلق مصطلح الحرف – أيضا – مرادفا للمخرج. وعد الكثير

[1] البريسم قاسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 2005، ص145-146

من الباحثين المعاصرين مصطلح الحرف مخالفا للصوت فالحرف عندهم هو الرمز المكتوب، أما إصاتته في النطق فهو الصوت. [1]

ولهذه الحروف صفات نستطيع من خلالها تمييز الحروف المشتركة في نفس المخرج، وتحسين النطق بالحروف، وذلك بإعطاء كل حرف مستحقه مخرجا وصفة.

الصفات:

الصفة كيفية تتميز بها الحروف المشتركة بعضها عن بعض كما تتميز غيرها بالمخارج، إذ المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته، والصفة كالناقد تعرف به كيفيته.

فالصفات: الحالات التي يتصف بها الحرف المنطوق من قوة أو ضعف أوجهر أو همس أو شدة أو رخاوة أو ما أشبه ذلك مما يصاحبه في مخرجه. وهذه الحالات كما يقول المازني: هي التي تفصل بين الحروف قال: «ولو كانت المخارج واحدة والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم»، والصفة تفيد المتكلم في النطق بالحروف بأن تعطي لكل ميزته من غيره، وضبط الحرف العربي حتى يستطيع غير العربي النطق به كما ينطقه العربي، ومعرفة كيفية تحسين الحرف في السمع[2].

إذا كانت الصفة هي الكيفية التي تتم بها عملية النطق، فإن الحرف هو مخرجها، وإذا كان الحرف مخرجا للصفة في كيفية الأداء، فإن الصوت اللغوي الذي يخرج من الجهاز الصوتي هو بمثابة النواة الأولى لتشكيل الحرف، ولما وجب وجود حروف متقطعة كعناصر غير دالة وجب تراصها للدلالة على معنى، ولبناء معنى وجب تمايزها وتمايز الحروف هو تمايز من حيث الصفة التي تعبر عن ذلك الحرف بكيفيات

[1] العبيدي رشيد عبد الرحمن : معجم الصوتيات مرتب على الألفباء، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، ط2، 2007، ص 83.

[2] المرجع نفسه، ص 112،113.

مختلفة من خلال وجود حروف مشتركة وغير مشتركة، فكان محدد الاشتراك بين هذه الحروف هو الصفة ولذا لا يمكن فصل الصوت اللغوي أو الحرف أو الصفة عن بعضها البعض لأنه لا يمكن بناء الكلام بدون عنصر من هذه العناصر الفيزيولوجية الثلاثة وهي الأساس والركيزة في إصدار المنطوق.

ولما كان لصفة الحرف علاقة وطيدة بدلالته في الكلمة ارتأينا أن نولي لبعض الصفات أهمية في دراستنا هذه محاولين إبراز أثرها في دلالة السورة المدروسة – سورة "ق" – وتفسير سبب تواتر بعض الأحرف بكثرة دون غيرها.

إلا أننا خلال عملية إحصاء تواتر الحروف ركزنا على الحروف المنطوقة دون غيرها

1- الجهر والهمس:

أ- الجهر:

الجهر في الأصوات ناتج عن "اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازا منتظما يحدث صوتا موسيقيا، وفي العربية حروف مجهورة يجمعها قولهم: (اطلقن ضرغم ظبي ذواد)[1] وسميت بذلك "لأنها حروف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى يقتضي الاعتماد ويجري الصوت". [2]

أو هو كما يقول عبد الغفار حامد هلال في كتابه الصوتيات اللغوية: «المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين الصوتيين اقترانا يسمح بالتأثير فيهما بالاهتزاز»[3]. أي إن إصدار الأصوات

[1] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 30.

[2] الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص30.

[3] عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص185.

المجهورة يتطلب جهدا فيزيولوجيا يتمثل في اهتزاز الوترين الصوتيين محدث جرسا موسيقيا يتميز بالقوة مما يخلق دلالة مؤثرة في ذات المتلقي.

كما تجدر بنا الإشارة إلى أننا اتبعنا في الجداول إحصاء الحروف معتمدين على الترتيب الألفبائي وذلك لتسهيل عملية إحصاء كل الحروف.

توزع ورود الأصوات المجهورة في سورة "ق":

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالشدة
الباء (ب)	75	26	10	31	08	12	07
الجيم (ج)	28	12	02	08	01	04	_
الدال (د)	52	09	13	24	06	16	02
الذال (ذ)	23	18	_	04	01	_	03
الراء (ر)	52	18	12	12	10	07	04
الزاي (ز)	07	03	_	02	02	_	01
الضاد(ض)	06	03	02	01	_	_	_
الطاء (ط)	06	02	01	01	02	01	_
الظاء(ظ)	05	01	03	01	_	02	_
العين (ع)	42	22	04	12	04	06	_
الغين (غ)	07	04	02	01	_	_	_
القاف(ق)	57	34	09	10	03	03	08

اللام (ل)	146	55	12	26	53	03	13
الميم (م)	114	50	18	24	22	02	20
النون (ن)	112	58	11	11	32	01	12
الواو (و)	79	61	_	01	17	_	02
الياء (ي)	51	28	02	02	19	_	03
المجموع	857	404	101	171	180	57	75

ب- الهمس

الهمس بخلاف الجهر فلا اهتزاز معه بالأوتار الصوتية فالصوت المهموس "هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق بها"[1] يجمعها قولهم: (حثه شخص فسكت)[2]، وسميت بذلك لأنها حروف أضعف فيها الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس.[3]

تواتر الأصوات المهموسة في سورة "ق":

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالشدة
التاء (ت)	45	20	09	11	05	05	02
الثاء (ث)	01	01	_	_	_	_	_
الحاء (ح)	25	14	_	03	08	01	_

[1] أنيس ابراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت، ص 76.

[2] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 214.

[3] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص 30.

*عدد مرات التواتر هو مجموع بالفتح+ بالضم+ بالكسر+ عدد مرات الاستعمال بالسكون.

الخاء (خ)	14	08	04	_	02	_	_
السين(س)	27	11	04	09	03	02	07
الشين(ش)	13	10	_	02	01	01	02
الصاد(ص)	10	02	01	04	03	_	01
الفاء (ف)	28	12	02	10	04	_	01
الكاف(ك)	40	25	09	03	03	01	01
الهاء (ه)	51	20	22	08	01	01	_
المجموع	254	123	51	50	30	11	14

ملاحظة:

في اللغة العربية صوت محايد واحد، هو الهمزة وفي حالتها النطقية، يقوم الوتران الصوتيان بحبس الهواء خلفهما بقوة، فلا يتذبذبان. لذا فإن الهمزة صوت محايد بطبيعته في اللغة العربية، كما يوصف أيضا بأنه لا مهموس ولا مجهور.[1]

إذا تأملنا كلا من الجدول الخاص بالصوت المجهور والجدول الخاص بالصوت المهموس نلاحظ تباينا كبيرا من حيث عدد الأحرف الواردة في سورة ق. حيث بلغ عدد الأصوات المجهورة 857 صوتا، في حين نجد الأصوات المهموسة قد وردت 254 مرة على مستوى مساحة الآيات الكريمة. وهذا ما يتوافق مع طبيعة مواضيع سورة ق فهي تحمل في طياتها قضية البعث والنشور بدءا من قضية الحياة بعد الموت، والبعث بعد الفناء – قيام الساعة – فالأصوات المجهورة ذات وقع قوي ومؤثر، مما يجعل الآيات

[1] البريسم قاسم: علم الصوت العربي، مرجع سابق، ص 190.

ملفتة للانتباه. ومثال ذلك: ما ورد من تهديد ووعيد في قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]

الحقيقة التي يشير إليها هنا هي حقيقة سبق ذكرها في سياق السورة، إلا أنها حين تعرض في الختام تعرض جديدة الإيقاع جديدة الوقع، بهذا التركيز وبهذه السرعة. [2]

ولعل للأصوات البارزة في هذه الآية دور كبير في ترك ذلك الوقع عند سماعها، فلو تأملنا الآية وجدنا حوالي 70% من الأصوات المجهورة (اثنين وثلاثين صوتا من أصل ست وأربعين صوتا).

وهذا ما يتوافق مع الدراسات الحديثة حيث برهن الاستقراء على أن: "نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المئة منه في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة، وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي، ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس والأسرار"[3]

أي الإكثار من الأصوات المجهورة يؤكد الحرص على الجهر بالقول لأنها توحي باستحالة السكوت فهي ترتبط في الغالب بالتفاعل على عكس الأصوات المهموسة التي تجسد التأمل والهدوء، كما أنها تخفف من وطأة التفاعل واجتماع هاتين الصفتين بهذه الطريقة يعطينا دلالة خاصة.

وإذا تأملنا الأصوات المجهورة وجدنا الحضور الكبير للام والميم والنون على الترتيب حيث بلغ تواتر كل منها في السورة 146 – 114 – 112 مرة.

[1] سورة ق، الآية 36.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3366.

[3] أنيس ابراهيم: الأصوات العربية، مرجع سابق، ص 23.

اللام: "صوت أسناني لثوي جانبي مجهور". أما صوت الميم فهو" شفوي أنفي مجهور منفتح"[1]، يتم إنتاج هذا النوع من الأصوات "بانطباق الشفتين انطباقا تاما عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبسا تاما في الفم، ويخفض الحنك، فيتمكن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بصوت الميم "[2]، وقد جاء هذا التواتر الكبير لكل من الميم واللام مناسبا لما جاء في السورة من الوعيد والجزاء.

النون: "صوت أسناني لثوي أنفي مجهور"[3]، يقول فيه العلايلي: «إنها للتعبير عن البطون في الأشياء». ويقول عنها الأرسوزي: «إنها للتعبير عن الصميمية» وهذه الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلا من كونها صوتا هجائيا ينبعث من الصميم للتعبير، عفو الفطرة عن الألم العميق (أن أتينا)

ولذلك كان الصوت الرنان ذو الطابع النوني (أي ذو المخرج النوني)، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع[4]. كما يدل حرف النون على معنى الظهور بداية أكثر من الألفاظ مثل: نبع– نبأ... [5]

وفي النص القرآني – سورة "ق" – استطاع بتكراره ومخرجه أن يؤكد قدرة الله العظيمة المتجلية في الكون والمخلوقات في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [6]

[1] الفاخري صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ط، د س، ص 143.

[2] أحمد كمال بشر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 348.

[3] المرجع نفسه، ص 349.

[4] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، منشورات الكتاب العربي، د ط، 1988، ص 150.

[5] المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د س، ص 177.

[6] سورة ق، الآية 6-7.

2- الشدة والرخاوة

أ- الشدة

الشديد من الأصوات (الانفجاري والحبسي) هو"الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[1]، وهذا ما ذهب إليه سيبويه[2]، يقول ابن الأنباري: «ومعنى الشديد أنها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت، فلذلك سميت شديدة»[3]

وللمبرد في تفسير الشديد مذهب يختلف عن سيبويه فعنده أنها حروف تمنع النفس. وأما المجهورة فهي التي يرتعد الصوت فيها، وأما الرماني فيرى أن الشديد هو الذي يشتد فيه بلزوم موضعه لا شدة الموقع، والمجهور يقوي الاعتماد فيه شدة الوقع[4].

فالصوت الشديد إذن هو الذي ينحبس عنده مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن (في مخرجه) وذلك بالتقاء عضوين من جهاز النطق ثم انفصالهما انفصالا فجائيا فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثا صوتا انفجاريا.

أما عن الأصوات الشديدة فقد اختلف القدماء والمحدثون في تحديدها فنجدهم يتفقون على أن الأصوات الآتية شديدة (ء – ب – ت – د – ط – ق – ك)، وقد اختلفوا في الأصوات الآتية (ح – ض – ع). فالجيم – عند القدماء – شديد على حين أنه عند المحدثين قليل الشدة، أو انفجاري احتكاكي، والضاد – عند القدماء – قليل الشدة على حين أنه عند المحدثين أو باصطلاحهم انفجاري أما العين فهو متوسط عند القدماء مختلف فيه عند المحدثين[5].

---

[1] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص 30.

[2] سيبويه أبو بشر عمر وبن عثمان بن قنلي: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرقاعي بالرياض، ط2، 1982، ص 334.

[3] الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: أسرار اللغة، تحقيق: محمد عجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دط، دس، ص 424.

[4] العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات، مرجع سابق، ص 105.

[5] عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية، مرجع سابق، ص 195، 196.

توزع ورود الأصوات الشديدة (الانفجارية، الحبسية) في سورة "ق"

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد
الباء (ب)	75	26	10	31	08	12	07
الثاء (ث)	45	20	09	11	05	05	02
الدال (د)	52	09	13	24	06	16	02
الطاء (ط)	06	02	01	01	02	01	_
الضاد(ض)	06	03	02	01	_	_	_
الكاف(ك)	40	25	09	03	03	01	01
القاف(ق)	57	35	09	10	03	03	08
الهمزة (ء)	59	40	03	15	01	02	_
المجموع	340	160	56	96	28	40	20

ب- الرخاوة:

الرخوة هي الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها[1]، فلا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا[2]، فيمر محتكا بالعضوين اللذين سببا تضييق مجراه دون انفجار، ويسمى كذلك: احتكاكي أو تسريبي، والأصوات الرخوة وفق الدرس الحديث هي: الفاء، الظاء، الدال، الثاء، الزاي، السين، الصاد، الشين، الغين،

[1] الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، مرجع سابق، ص30.

[2] أنيس ابراهيم: علم الأصوات، مرجع سابق، ص25.

الحاء، والهاء، أي أنها نتيجة مرور الهواء من منفذ يضيق نسبيا بحيث يحدث حفيفا مسموعا[1].

وهناك أصوات بين الشديدة والرخوة (بينية أو متوسطة أو مائعة) كما عند المحدثين

وهذه الأصوات هي: الواو، الياء، اللام، الراء، الميم، النون، فهي تسمح للهواء الخفيف بالمرور حال التفوه بالحرف يجمعها القدماء في "لم يروعنا".

تواتر الأصوات الاحتكاكية (الرخوة) في سورة "ق":

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالشدة
الفاء (ف)	28	12	02	10	04	_	01
الثاء (ث)	01	01	_	_	_	_	_
الذال (ذ)	23	18	_	04	01	_	03
الظاء(ظ)	05	01	03	01	_	02	_
السين(س)	27	11	04	09	03	02	07
الزاي (ز)	07	03	_	02	02	_	01
السين(ش)	13	10	_	02	01	01	02
الخاء (خ)	14	08	04	_	02	_	_
الغين (غ)	07	04	02	01	_	_	_
الحاء (ح)	25	14	_	03	08	01	_

[1] أحمد كمال بشر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 126.

الصاد(ص)	10	02	01	04	03	_	01
الهاء (ه)	51	20	22	08	01	01	_
المجموع	253	104	38	44	25	07	15

نلاحظ من خلال الجدول أن الأصوات الشديدة بلغت على مستوى النص القرآني 340 صوتا، وهي كمية صوتية تتطلب جهدا صوتيا عاليا ونفسا طويلا لنطقها – كما رأينا في مفهوم الشدة –

والسبب في هذا التواتر الكبير في الأصوات الشديدة في سورة "ق" يعود إلى ما تحتويه السورة من مواضيع، فهي تعالج أصوات العقيدة الاسلامية، ولكن المحور الذي تدور حوله هو موضوع البعث والنشور، هذه السورة شديدة الوقع على الحس عن القلب والنفس، وتثير فيها روعة الإعجاب ورعشة الخوف بما فيها من ترغيب وترهيب.

كما نلاحظ أن الأصوات الانفجارية الأكثر ورودا في سورة "ق"، هي كل من الباء والهمزة والقاف، فقد بلغت هاته الأصوات على الترتيب: 57. 59. 75 مرة على مساحة الآيات الكريمة. وقد جاء هذا التواتر مناسبا لأغراض الآيات بل وضروريا للسياق الذي ذكرت لأجله، خاصة حين الحديث عن المكذبين من الأمم السالفة، وما حل بهم من كوارث وأنواع العذاب في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

وإذا تأملنا هذه الحروف نجد أنها حروف شديدة يصاحب خروجها انتفاخ المخرج دفعة واحدة، ما يعطي الصوت قوة، فارتبط ذلك بالحالات الانفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء.

[1] سوة ق، الآية 12-14.

الهمزة: صوت حنجري شديد منفتح[1]، وأفاد وجوده وكذا تكراره بكثرة في السورة الكريمة – سورة "ق" – التنبيه مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾[2]، والتقدير: "أنرجع إلى الحياة في حين انعدام الحياة منا بالموت وحين تفتت الجسد وصيرورته ترابا، وذلك عندهم أقصى الاستبعاد".[3]

وكأنما هذه الآية هي عبارة عن استنطاق لموقف الكفار وإنكارهم لقضية البعث إذ إن الله عز وجل عرض فكرة انكارهم بأسلوب استفهامي كان الغرض منه التنبيه. أي أن الهمزة هنا بانفجارها صورت ووصفت هذا المشهد تصويرا بارعا من خلال "أَءِذَا "التي تحمل استفهاما استنكاريا كناية عن الاستبعاد واستحالة البعث ووقوع يوم القيامة.

يذكر حسن عباس في كتابه "خصائص الحروف العربية ومعانيها" صوت الهمزة فيقول عنه: "وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءا في الطبيعة... وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه، ولكن بفرق أن الهاء شعورية والهمزة بصرية، والصورة البصرية تتصف بالحضور والوضوح والعيانية"[4].

كما أشار إلى أن الهمزة وسط الكلمة أو في آخرها لا يذكر لها تأثير في المعاني[5].

الباء والقاف: هي أصوات القلقلة التي لها وقع قوي.

[1] الفاخري صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة، دط، دس، ص 142

[2] سورة ق، الآية 3.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، الدار التونسية، تونس، ط1، 1984، ص 280.

[4] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مرجع سابق، ص 33.

[5] المرجع نفسه، ص 94.

الباء: صوت انفجاري شديد، مجهور، منفتح[1]، تنفتح وتتباعد الشفتان في أثناء خروجه بقوة، وفي ذلك إشارة إلى التباعد والانفصال[2]. مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

والمعنى: "لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته، وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي على السنة رسلي، فما تركت لكم حجة علي"[4].

القاف: تنبه الزركشي إلى اشتمال سورة ق على ذات الحرف، لما في صوت القاف من القلقلة والشدة من جهة، ولاشتماله على الجهر والانفتاح من جهة أخرى[5]، وفصل لما جاء به فقال: "تأمل السورة التي اجتمعت الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذات الحرف، فمن ذلك ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيبين وذكر السابق، والقرين والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل والرزق، وذكر القوم وخوف الوعيد، وغير ذلك"[6].

---

[1] صالح سليم عبد القادر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 143.

[2] فخرية غريب قادر: عمليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة نموذجا، عالم الكتب الحديث، داريد، الأردن، ط1، 2011، ص 23.

[3] سورة ق، الآية 27.

[4] الزمحشري جار الله أبي اقاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، ج5، تحقيق: عادل أحمد أبو الجود، مكتبة العبكية، الرياض، ط1، 1998، ص 600.

[5] الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 91-92.

[6] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص 169.

كل معاني السورة تتناسب مع هذا النوع من الأصوات لما تحتويه من صفات من قوة وشدة.

أما إذا نظرنا إلى الصوائت القصيرة المكررة بكثرة في كل من الأصوات المجهورة والمهموسة وكذا الأصوات الشديدة والرخوة وجدنا أن الفتحة هي الحركة البارزة والتي تدل على قوة الحرف ودلالته وهذا ما يتناسب وموضوع السورة.

من خلال دراستنا لهذه الصفات اتضح لنا أثرها وهي متداخلة بهذا الشكل مولدة جرسا موسيقيا فريدا وصدى قويا في النفس بما يتطلبه موضوع السورة.

المبحث الثاني: الفاصلة

تعد الفاصلة* من أهم الظواهر التي يتميز بها القرآن فحروفها المشكلة لها تمنح وقعا نغميا ووضوحا سمعيا عند المتلقي، ولها مهمة لفظية ومعنوية مما يسهم في تناسب الآيات وارتباط دلالتها، فلا تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني، ولا إهمال للمعاني على حساب الألفاظ. وهذا ما زاد من الرقي بالفاصلة في مستويات؛ عدة البلاغية منها والدلالية وكذا الصوتية.

الفاصلة في القرآن:

الفاصلة في القرآن الكريم "آخر كلمة في الآية، كالقافية في الشعر، وقرينه السجع في النثر".[1] قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني».[2]

وسورة "ق" لم تخل من الفاصلة إذ نجد معظم آياتها تنتهي بحرفي الياء والدال، يقول حسن عباس في حرف الدال: «أصم أعمى مغلق على نفسه كالهرم، لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة ما يدل على الصلابة والقساوة وكأنه من حجر الصوان. وهذا الانغلاق جعله في عزلة عمياء صماء عن أي إحساس آخر أو مشاعر إنسانية مما جعله أصلح

للتعبير المباشر عن الظلام والسواد»[3]. أي أن حرف الدال إذا ورد في الألفاظ، دلت الألفاظ على القوة والشدة.

---

* لا يجوز تسمية الفاصلة بالقافية إجماعا، لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا والبديل هو الفاصلة كما لا يصح تسمية نهايات الآيات المتماثلة بالسجع بل يدعى تماثل الفواصل.

[1] الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص143.

[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، مرجع سابق، ص53.

[3] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مرجع سابق، ص 67.

وإذا تأملنا السورة الكريمة وجدنا وقوع حرفي الياء والدال يتناسب مع الخطاب الموجه للمتلقي خاصة أنه يتحدث عن الكفار، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [1]

إذا نظرنا إلى فاصلة كل آية من الآيات المذكورة نجد لفظ "الوريد"، "قعيد"، "عتيد"، "تحيد" و"وعيد" جاءت في شكل متتالية وحرفي الياء والدال كوّنا الفاصلة بين كل آية وآية." الوريد" هو واحد من الشرايين و هو ثاني شريانين يخرجان من التجويف الأيسر من القلب .وفي الجسد وريدان وهما عرقان يكتنفان صفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه و في الآية "من حبل الوريد" هي "إضافة العام إلى الخاص أي الحبل إلى الوريد، وهي كناية عن إحاطة العلم بالحال لأن القرب يستلزم الاطلاع، ومن لطائف هذا التمثيل أن "حبل الوريد" مع قربه، لا يشعر الإنسان به لخفائه وكذلك قرب الله من الإنسان."[2]لأن الوريد هو الذي يمد الجسم بالحياة إذ يربط بين الرأس و القلب فبانقطاع هذا العرق تتوقف حياة الإنسان.

فالإنسان بطبعه إذا كانت له دراية بأنه تحت رقابة انتابه الخوف فما بالك برقيب هو الله.

كما أن لفظة " "قعيد" مستعارة للملازم الذي لا ينفك عنه كما أطلقوا القعيد على الحافظ لأنه يلازم الشيء الموكل بحفظه". [3]

[1] سورة "ق"، الآية 16، 17، 18، 19، 20.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص300، 301.

[3] المرجع نفسه، ص302.

أما ألفاظ "عتيد"، "تحيد"، و" الوعيد" فهي تعريض بالإنذار"[1]

إذن فهذه الألفاظ تحمل دلالة الإنذار والتخويف والترهيب، وإذا كان الخطاب، يحمل هذه الدلالات فلا بد من أن تمتاز اللفظة بالقوة والشدة والجهر. فهذه الألفاظ كما سبق أن ذكرنا تنتهي بحرفي الياء والدال، وهما مجهوران والدال يمتاز بالشدة هذا ما زاد من قوة وشدة الألفاظ وخاصة أنها جاءت على التوالي. فعلى الرغم من اختلاف الألفاظ في المقاطع الأولى إلا أنها تتحد في الفاصلة "يد".

فالفاصلة تحمل ميزة خاصة من الناحية الإيقاعية وكذا الجمالية الفنية اللغوية.

ففي سورة "ق" نرى أن لحرف الدال بروزا في السورة كفاصلة إذ ورد ملازما لحرف الياء مقارنة مع غيره من الحروف "الباء والجيم والظاء والطاء".

لذلك فإن ورود الفاصلة في نهاية كل آية أسهم في تناغم الآيات من الناحية الصوتية، وهذا ما أدى إلى إبراز دلالات خاصة وتمت مراعاة الفاصلة من خلال تقديم عنصر على آخر وذلك للمحافظة على المعاني والدلالات. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] إذ "تقدم لفظ إلينا وتأخر لفظ "المصير"، وذلك لتحقيق التناسب برعاية الفاصلة"[3]

ومن الظواهر الصوتية في نسق الفواصل، نجد ظاهرة العدول وتعني خروج صوت الفاصلة عن المنظومات الصوتية السابقة واللاحقة، ويشكل الانزياح أو الخروج تموجات صوتية إيقاعية، ورصدنا في سورة "ق" ورود هذا النوع من الانزياح وذلك في قوله تعالى:

[1] المرجع نفسه، ص399.

[2] سورة ق الآية: 43.

[3] عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، ج2، مرجع سابق، ص305.

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ ﴾[1]

فصل صوت الطاء بين منظومة الدال. والطاء صوت مفخم والدال صوت مرقق إذ أن حرف الدال فيه امتداد، أما الطاء ففيه قطع لكن الجرس الموسيقي يبقى صادرا من مخرج واحد فهما حرفان نطعيان، هذا ما أعطى نغماً موسيقياً قوياً متجانسا، فعلى الرغم من اختلاف الفاصلة إلا أن آيات السورة بقيت محافظة على تناغمها ومنظومتها الصوتية.

فالسور المكية تمتاز بقصر الآيات وقوة إيقاعها وجرسها، وقصر مقاطعها، وتتابع فواصلها، فهذه الظاهرة الأسلوبية تتوافق مع الموضوع العام للسورة فهي تتناسب مع موقف الكفار من الدعوة بصفة عامة ومن القرآن خاصة، فقد كانوا معاندين مكذبين للدعوة، لذا كان وقع الآيات على الأذن قويا شديدا، باعثا الرعب في قلوبهم، مزعزعا لمشاعرهم.

الفاصلة القرآنية لا تنحصر دلالاتها في التركيب والدلالة، بل تتجاوزهما إلى الصرف وبخاصة ظاهرة الاشتقاق.

[1] سورة ق، الآية: 12،13،14.

المبحث الثالث: المشتقات

المشتق ما يؤخذ من مادة على قياس مطرد، سواء كان على أساس تغيير الحركات داخل المادة، أم على أساس إلصاق الزوائد الخاصة بالصيغة المراد اشتقاقها، أم على الأساسين كليهما وأصل المشتقات هو المادة اللغوية، وآلة الاشتقاق هي التي تولّد اختلاف صيغ المباني والمعاني في هذا الأصل[1].

فالاشتقاق هو: "إنشاء فرع من أصل يدل عليه، يتفق معه في المادة الأصلية. وفي هيئة التركيب يؤدي إلى تقارب في المعنى والدلالة، فالأحمر من الحمرة، وضارب من ضرب.."[2]

إذن المشتقات فرع من أصول المادة الواحدة وهي تسهم في توليد المعاني والدلالات التي تساعد على إثراء الرصيد اللّغوي والمشتقات تشمل اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم المكان، اسم الزمان، اسم الآلة، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة واسم التفضيل

والقرآن الكريم يتميز بهذه الظاهرة. وسورة "ق وردت فيها المشتقات ولكن معظمها كان إما صيغة مبالغة أو صفة مشبهة والجدول الملحق أدناه يوضح ذلك:

المشتقات الواردة في سورة "ق":

الرقم	اللفظ المشتق	التواتر	صيغة اللفظ	نوع الاشتقاق	الآية الشاهد	رقم الآية
01	مجيدِ	1	فعيل	صيغة مبالغة لاسم الفاعل	﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾	1
02	منذر	1	مفعل	اسم فاعل	﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾	2

[1] عماد عبد يحى: البنى والدلالات في القصص القرآني دراسة فنية، دار دجلة، الأردن، ط 1، 2009، ص84.

[2] بلعرج بلقاسم : لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات للربع الأول، درا العلوم،، الجزائر، د ط، د ت، ص 19.

03	بعيدٌ	2	فعيل	صفة مشبهة	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	3 27
04	حفيظٌ	2	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	4 32
05	مريجٍ	1	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	5
06	بهيجٍ	1	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾	7
07	منيب	2	مفعل	اسم فاعل	﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾	8
08	مباركاً	1	مفاعلا	اسم مفعول	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9
09	حصيد	1	فعيلِ	صفة مشبهة	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9
10	نضيدٌ	1	فعيل	صفة مشبهة	﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾	10
12	أقربُ	1	أفعل	اسم تفضيل	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾	16
14	قعيدٌ	1	فعيل	صيغة مبالغة لاسم الفاعل	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17

15	رقيبٌ	1	فعيل	صفة مشبهة	﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾	18
16	عتيدٌ	2	فعيل	صفة مشبهة	﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	18 23
17	سائقٌ	1	فاعل	اسم الفاعل	﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾	21
18	شهيدٌ	2	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	21 37
19	مريبٍ	1	مفعل	اسم فاعل	﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	25
20	كفّارٍ	1	فعّال	صيغة مبالغة لاسم الفاعل	﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	24
21	عنيدٍ	1	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	24
22	منّاعٍ	1	فعّال	صيغة مبالغة لاسم الفاعل	﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	25
23	شديدٍ	1	فعيل	صفة مشبهة	﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾	26
24	ظلّام	1	فعّال	صيغة مبالغة	﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29
25	مزيدٍ	2	مفعل	اسم مفعول	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾	30

26	بعيدٍ	2	فعيل	صفة مشبهة	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ ﴾ ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١ ﴾	27 31
27	أوّابٍ	1	فعّال	صيغة مبالغة	﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ ﴾	32
29	محيصٍ	1	فعيل	اسم فاعل	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ ﴾	36
30	وعيد	4	فعيل	صيغة مبالغة	﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ ﴾ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ ﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ ﴾ ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾	14 20 28 45
31	منادٍ	1	مفاع	اسم فاعل	﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ ﴾	41
32	قريبٍ	1	فعيل	صفة مشبهة	﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ ﴾	41
33	أعلم	1	أفعل	اسم تفضيل	﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾	45

34	جبّارٍ	1	فعّال	صيغة مبالغة لاسم فاعل	﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45

وردت في سورة ق مجموعة من المشتقات فكان من أبرزها صيغة المبالغة *وجاءت على أوزان مختلفة فمثلا نجد وزن "فعَال"في قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] ظَلام هي راجعة إلى تأكيد النفي والمراد: "لا أظلم شيئاً من الظلم وليس المعنى ما أنا بشديد الظلم كما قد يستفاد من توجه النفي إلى المقيد يفيد أن يتوجه إلى القيد، والأكثر في النفي أمثلة المبالغة أن يقصد بالمبالغة مبالغة النفي". [2]

كما نجد لفظة أوَاب على وزن فعَال التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3]

"فأوَاب تحمل معنى كثير الأواب أو الأوبة أي الرجوع إلى الله للامتثال لأوامره ونواهيه فلا يفارقه حالة الطاعة وإذا فارقه قليلاً آب إليه وأنابه والأواب الرجاع الى ذكر الله"[4]. كما وردت صيغة المبالغة على وزن "فعيل" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾ [5]

فلفظة شهيد "من المشاهدة للذكر أي تحديق العين إليه للحرص على فهم مراده، مما يقارن كلامه من إشارة النظر بعين على الفهم"[6] أي "حاضر بفطنته لأنه من لم يحضر

*** صيغة المبالغة: وهي ألفاظ تشتق للدلالة على ما يدل عليه اسم الفاعل مع المبالغة في المعنى المشتق من الثلاثي أو المصدر.**

[1] سورة ق، الآية 29.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص316.

[3] سورة ق، الآية 32.

[4] الزمخشري: الكشاف، ج6، مرجع سابق، ص603

[5] سورة ق، الآية 37.

[6] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص324.

عقله فهو غائب".[1] مما سلف نرى أن لصيغة المبالغة نصيب وافر من سورة "ق" وجاءت على أوزان مختلفة لكن أبرزها كان على وزن "فعيل". فالقرآن الكريم معجز من كل جوانبه وللإعجاز اللَغوي حظٌ منه إذ نجد صيغة المبالغة تدل على التكثير والمبالغة وهذا ما أعط فاعلية خاصة لانتقال المعنى فمعروف على العرب أنهم إذا أردوا المبالغة والتكثير في شيء عدلوا من بناء إلى بناء آخر دل على مبالغة الأول. إضافة إلى صيغة المبالغة نجد نوع آخر من أنواع الاشتقاق وهو الصفة المشبهة وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾[2]

فلفظة" "بهيج" يجوز أن يكون صيغة مبالغة أو صفة مشبهة؛ يقال: بهج بضم الهاء، إذا حسُن في أعين الناظرين، فالبهيج بمعنى الفاعل كما دل عليه في الآية(...). وهذا الوصف يفيد ذكره تقوية الاستدلال على دقة صنع الله تعالى. وإدماج الامتنان عليه بذلك ليشكروا النعمة ولا يكفروها بعبادة غيره"[3]، والصفة المشبهة تدل على ثبوت الصفة لصاحبها ثبوتاً دائماً عاماً وتأخذ أوزان مختلفة وتتداخل مع المشتقات الأخرى.

فلفظة بهيج يجوز أن تكون فعيلا بمعنى مفعول، أي "منبهج به على الحذف والإيصال، أي يسَل ربه الناظر، يقال بهَجَه من باب منَع، إذا سَره ومنه الابتهاج" [4]

وكذلك نجد لفظة" "المبارك": اسم مفعول*للذي جعلت فيه البركة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ ﴾[5]

---

[1] الزمخشري: الكشاف، ج26، مرجع سابق، ص604.

[2] سورة ق، الآية 7.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص283.

[4] المرجع نفسه، ص 289.

* اسم مفعول: صفة مشتقة يدل عليه الفعل حدوثاً لا ثبوتاً، ويبنى من الثلاثي المجرد المبني لما يسم فاعله.

[5] سورة ق، الآية 9.

أي جعل فيه خير كثير وأفعال هذه المادة كثيرة التصرف ومتنوعة التعليق، والبركة الخير النافع لما يتسبب عليه من إنبات الحبوب والأعناب والنخيل".[1]

إضافة إلى اسم المفعول نجد المشتقات اسم الفاعل* في مثل قوله تعالى الآية ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾[2]

فلفظة" سائق" جاءت على وزن "فاعل" فسائق "يجوز أن تكون دلالتها من عطف ذات على ذات فيكون المراد ملك يسوق النفس إلى المحشر ويجوز أن يكون من عطف الصفات والسائق الذي يجعل غيره أمامه برجيه في السير ليكون بمرأى منه كي لا ينفلت وذلك من شأن المشي به إلى ما يسوء".[3]

كما أن لفظة "مزيد" جاءت على وزن" مفعل" من صيغة اسم فاعل وذلك في قوله تعالى:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾[4]

و"مزيد أي زيادة على ما يشاءون مما لم يخطر ببالهم، وذلك زيادة كرامتهم عند الله. ووردت آثار متفاوتة القوة أن من المزيد مفاجأتهم بخيرات، وفيها دلالة على أن المفاجأة بالإنعام ضرب من التلطف والإكرام، وأيضاً فإن الإنعام يجيئهم في صورة معجبة...".[5]

فصيغ اسم الفاعل تحمل دلالة على الحدث واستمرارية الحدث لفترة ما فهذه الدلالة أسهمت في إثبات على قدرة الله في خلقه واستمرارها لفترة غير محددة اسم الفاعل من بين الظواهر التي شكل ورودها إثبات لحجج حقيقة البعث والخلق.

---

[1] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص291-292.

* اسم الفاعل: أسم مشتق من الفعل المعلوم ليدل على من قام بالحدث على وجه الحدوث لا ثبوت ويشتق من الثلاثي.

[2] سورة ق، الآية 21.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص308.

[4] سورة ق، الآية 35.

[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص321.

كما أن اسم التفضيل* ورد في السورة ولكن في موضعين وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1]

فلفظة "أقرب" على وزن "أفعل" و"الكلام فيه موعظة وتهديد بالجزاء يوم البعث والجزاء من إحصاء الأعمال خيرها وشرها".[2]

مما تقدم نرى أن ظاهرة الاشتقاق ليست مبنية على مستوى الميزان الصرفي فقط بل تعطينا أشكالا وصورا متميزة في إيراد دلالات ومعاني للكلمات وسورة ق تميزت بورود هذه الظاهرة فحملت دلالات مختلفة بين المبالغة في المعنى والتكثير وكذا طريقة وقوع الأحداث، وبين ثبوت الصفات بالألفاظ إلى المفاضلة.

فالبناء الذي قامت عليه ألفاظ السورة جاء مناسبا للموضوع الذي تعالجه فكان تناسباً صوتياً موسيقياً بين الآيات مما أسهم في مراعاة الفاصلة ونتج عن هذه الألفاظ قوة دلالتها مما أوحى بالجمالية الفنية التي تضمنتها آيات السورة.

* اسم التفضيل: وهو يشتق للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما فيها على الآخر ويصاغ على وزن واحد وهو أفعل.

[1] سورة ق، الآية16 .

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 301.

الفصل الثالث

المستوى التركيبي

المبحث الأول: التعريف والتنكير.

المبحث الثاني: التكرار.

المبحث الثالث: الحذف.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير.

المبحث الخامس: الالتفات.

اللغة تحتاج إلى أن يحكمها نظام حتى تحقق المعنى المراد إبلاغه والبنية التركيبية تساهم في ترابط وتماسك الألفاظ والمستوى التركيبي من أهم مستويات اللغة، فله سمة خاصة إذ يساهم في إيراد الدلالات وذلك من خلال جملة من الظواهر وسورة "ق" موسومة بها وسنعرض لها فيما سيأتي من الدراسة.

المبحث الأول: التعريف والتنكير

التعريف: هو اسم يدل على معين. ومن علاماته: ال، الاسم الموصول، اسم الإشارة، الضمائر (الغائب، المخاطب، المتكلم)، أسماء العلم، المضاف إلى معرفة، المنادى.

أما **التنكير:** هو اسم يدل على غير معين، أو هو اسم شائع جنس لا يختص به واحد دون آخر، ومن علامات التنوين[1]

إذن يكمن الفرق بين التعريف والتنكير أن التعريف معين بينما التنكير غير معين

إن ظاهرة التعريف والتنكير لها خصوصية وسورة "ق" لم تخل منها إذ نجد معظمها ورد فيها التعريف أو التنكير أو كلاهما معا والجدول يوضح ذلك:

التعريف والتنكير في سورة "ق":

الآية	رقمها	التعريف	التنكير
﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾	1	القرآن المجيد	
﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾	2	منهم هذا – الكافرون	منذر شيء عجيب

[1] قلاتي ابراهيم: قصة الاعراب كتاب في النحو والصرف لجميع المراحل التعليمية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، ب ط، 2009، ص439.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾	3	ذلك	ترابا – رجع بعيد
﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾	4	الأرض – منهم	كتاب حفيظ
﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	5	بالحق – فهم	أمر مريج
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾	6	السماء – فوقهم	فروج
﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾	7	الأرض	كل زوج بهيج
﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾	8	السماء	لكل عبد منيب ماء مباركا
﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9		جنات
﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾	10	النخل	طلع نضيد
﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾	11	كذلك – الخروج	رزقا – بلدة

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾	12	نود – الرس – ثمود	قوم
﴿ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ ﴾	13	عاد – فرعون – لوط	
﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾	14	الأيكة – الرسل أصحاب	قوم – كل كذب حق وعيد
﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾	15	بالخلق الأول هم	لبس – خلق جديد
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾	16	الانسان – نحن – الوريد	حبل
﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ ﴾	17	المتلقيان–اليمين–الشمال	قعيد
﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾	18		من قول – رقيب عتيد
﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	19	الموت– الحق	سكرة – تحيد
﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾	20	ذلك يوم الوعيد	
﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾	21		كل نفس

			سائق وشهيد
﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	غفلة – هذا – اليوم	
﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	هذا – ما	قرين
﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	جهنم	كل كفار عنيد
﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	25		معتد مريب
﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾	26	الذي – الله – ألقيا العذاب الشديد	
﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	ربنا	قرينه ضلال بعيد
﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	بالوعيد	
﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	القول – أنا	بظلام للعبيد
﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	لجهنم	مزيد
﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	31 32	الجنة – هذا	لكل أواب حفيظ

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	الرحمان – بالغيب	بقلب منيب
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾	34	ذلك – الخلود	يوم
﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾	35	لهم – المزيد	قرن
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	هم – منهم – في البلاد	بطشا – محيص
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	ذلك – السمع – وهو	قلب شهيد
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	38	السموات والأرض	
﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	الشمس – الغروب	
﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾	40	الليل – السجود	
﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾	41	المناد	يوم – مكان قريب
﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42	الصيحة – بالحق – ذلك – الخروج	يوم

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	نحن – المصير – إلينا	
﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	الأرض – عنهم – ذلك – علينا	يوم – سراعا – حشر
﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	نحن – أنت – عليم – بالقرآن	

إن لظاهرة التعريف صدى خاص في سورة "ق" إذ نلحظ هنا في معظم الآيات إن لم نقل جلها وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾[1]

تعريف "الخلق" الأول كان لأغراض بلاغية معجزة، "فالتعريف تنويه بفخامة ما قصد تعريفه وتعظيمه، ومثله تعريف "الذكور" في قوله تعالى: ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]، والقصد من جعله دليلا على إمكان الخلق الثاني بطريق الأولى لأنه إذا لم يحي تعالى على عظمته وانفساحه واستيعابه لما يدهش العقول، ويحير الأفكار، فالخلق الآخر هو مجرد إعادة أولى ألا تعبأ به، وألا يتجاوز مدى القدرة والإمكان، فهذا سر تعريف الخلق الأول".[3]

كما نجد التعريف في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4]

[1] سورة ق، الآية 15.

[2] سورة الشورى، الآية 49.

[3] الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه ج7، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1999، ص 276.

[4] سورة ق، الآية 17.

هنا "تعريف "الملتقيان" تعريف العهد إذا كانت الآية نزلت بعد آيات ذكر فيها الحفظة، أو تعريف الجنس، والتثنية فيها إشارة إلى أن هذا الجسم مقسم اثنين اثنين".[1]

كما نشير إلى التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]، "يجوز أن تكون الإشارة بذلك إلى إهلاك القرون الأشد بطشا، ويجوز أن يكون جميع ما تقدم في استدلال وتهديد وتحذير من يوم الجزاء".[3]

التعريف يدل على معين إلا أن التعريف في هذه المواضع جاء للتوضيح أكثر والتبيين فعلى الرغم من أن تكون أحيانا قد عرف بمعاني مسبقا إلا أن تعريفها من جديد يزيد من التأكيد عليها.

وفي مقابل التعريف نجد التنكير وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾[4] ففي هذه الآية "التنكير منقسم، مرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الإبهام، كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة، ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه ومن الأول قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ ﴾[6]، هو أكثر من أن يحصي، والثاني هو الأصل في التنكير، فلا يحتاج إلى تمثيله، فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم، كأنه: في لبس، وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة

[1] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 301.
[2] سورة ق، الآية 37.
[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 323.
[4] سورة ق، الآية 15.
[5] سورة المائدة، الآية 9.
[6] سورة طور، الآية 17.

إلى الخلق الأول، ويعمل أن يكون للتفخيم،وكأنه أمر أعظم من أن الإنسان بكونه ملتبسا، مع أنه أول ما تبصر فيه صحته".[1]

كما نجد تنكير التنوين في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾[2] و"التنوين للنوعية إذ لا يتعلق الغرض بتعيينه، ووضعه "بقريب" للإشارة إلى سرعة حضور منادين، وهو الذي فسرته جملة يوم يسمعون الصيحة بالحق، لأن المعروف أن النداء من مكان قريب لا يحظى على السامعين بخلاف النداء من كان بعيد".[3]

وكذلك التنكير في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾[4]، "تنكير "قلب" للتعظيم والكمال، والمعنى: لمن كان له قلب ذكي واع يستخرج بذكائه أو لمن ألقى السمع إلى المنذر فيتذكر، وإنما قال "وألقى السمع" ولم يقل "استمع" لأن إلقاء السمع أي يرسل سمعه ولا يمسكه وإن لم يقصد السماع، أي تحصل الذكرى لمن لم يسمع وهو تعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه".[5]

إذن ظاهرة التنكير في الكلام لا تعد إبهاما بل لرب استعمال لنكرة يكون أكثر وضوحا ودقة من المعرفة، فربما في كلامنا نحقق معاني كثيرة وذلك باستعمالنا للنكرة لا يمكن أن نحققها باستخدامنا للمعرفة.

وفي سورة "ق" وردت كثير من الكلمات المنكرة التي أسهمت في الزيادة من دقة المعاني وكذا تبين الإعجاز اللغوي الذي في القرآن فمع كل قراءة جديدة للألفاظ تتولد لنا معاني جديدة لم نكن نفقهها قبلا.

---

[1] الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه، ج7، مرجع سابق، ص 286.

[2] سورة ق، الآية 41.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 329.

[4] سورة ق، الآية 42.

[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 324.

المبحث الثاني: التكرار

ارتبط التكرار بالزيادة فهو مصور للقول بزيادة اللفظ دائما سواء أكان تكرارا لفظيا أو معنويا[1]، أي التكرار هو كلام من جنس واحد بعض يجزي عن بعض، كما نجد تكرار المعنى بلفظين مختلفين لإشباع المعنى والاتساع في اللفظ[2].

والتكرار في القرآن مركب تركيبا دقيقا بالغ الدقة بحيث تقرب منه التركيبات المعملية التي توزن على مقادير بالغة الدقة، ولا تؤته النتيجة المأمولة منها إذا اختلفت هذه التراكيب[3]

إذن التكرار يكون إما عن طريق اللفظ أو المعنى، وأسلوب التكرار في القرآن له خصوصية فسورة" ق" وردت فيها ظاهرة التكرار في عدة مواضيع.

والجدول الموالي يوضح ذلك:

التكرار في سورة "ق":

اللفظ المكرر	الآية التي وردت فيها	رقمها
القرآن	﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾	1
	﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾	45
الأرض	﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ ﴾	4
	﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ ﴾	7

[1] محمد أحمد خضير: علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، د ط، د س، ص 105.

[2] ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مشكلة القرآن، تحقيق: السيد أحمد صغر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص 210.

[3] الكرماني محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه تشابه القرأ لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: أحمد عطا عبد القادر، دار الفضيلة، د ط، د س، ص 45.

	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	38
	﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	44
السماء	﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾	6
	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9
	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	38
أنبتنا	﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾	7
	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9
أصحاب وقوم	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾	12
	﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾	14
حفيظ	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾	4
	﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	32
وعيد	﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾	14
	﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾	20
	﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾	28

	﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	32
	﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45
الخروج	﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾	11
	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42
قرين	﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23
	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	27
بعيد	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾	3
	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	27
	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾	31
عتيد	﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾	18
	﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23
شهيد	﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾	21
	﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	37
كل	﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾	7
	﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾	8

	﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾	21
اليوم	﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾	22
	﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾	30
	﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾	34
	﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾	38
	﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾	41
	﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42
	﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ ﴾	44
منيب	﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾	8
	﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾	33
عجبوا	﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾	2
كذبوا	﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	5
	﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾	12
	﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾	14

سبح	﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39
	﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾	40

نجد التكرار في القرآن على مستوى المعنى في مثل قوله: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[1]، هذا "إضراب ثان تابع للإضراب الذي في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾[2] على طريقة تكرير الجملة في مقام التنديد والإبطال، أو بدل من جملة "بل عجبوا أن جاءهم منذر" لأن ذلك العجب مشتمل على التكذيب وفي الآية: "بل كذبوا بالحق " المراد بالحق هنا القرآن لأن فعل التكذيب إذا عدي بالباء عدي إلى الخبر وإذا عدي بنفسه كان لتكذيب المخبر".[3]

نرى أن التكرار في هذه الآية كان على مستوى المعنى فهنا نجد تأكيد على أن الكفار على يقين برسالة السماء إلا أنهم يتعجبون ويكذبون بالقرآن فالتعجب مشتمل للكذب والإنكار.

كما نجد التكرار في موضع آخر من السورة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[4] "هذا تفصيل لبعض الخلق الأول وليبنى عليه ونعلم ما توسوس به نفسه ولينتقل من الإنذار بإحصاء أعمال الناس عليها وهو ما استرسل في وصفه من قوله تعالى: «إذ يلتق الملتقيان...»"[5]

[1] سورة ق، الآية 5.
[2] سورة ق، الآية 2.
[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 287.
[4] سورة ق، الآية 16.
[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 259.

بالإضافة إلى التكرار المعنوي نجد التكرار اللفظي وذلك في مثل قوله تعالى: "قال قرينه" وردت هذه الجملة في موضعين من السورة، في الآية 23 وبعدها في الآية 28 لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]، "فالأول خطاب للإنسان من قرينه،ومتصل كلامه، والثاني استئناف خطاب الله سبحانه به من غير اتصال بالمخاطب الأول، وهو قوله: "ربنا ما أطغيته" وكذلك الجواب بغير واو، وهو قوله: "لا تختصموا لدى" وكذلك "ما يبدل القول لدى"، فجاء الأول على نسق واحد"[3].

بالإضافة إلى تكرار اللفظي والمعنوي وتكرار الحذف نجد نوعا آخر من التكرار وهو أن ترد الآية في سورة ثم يرد مثيلتها في سورة أخرى ونرى ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[4] ووردت هذه الآية في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[5]"ففي سورة "ق" راعى الفواصل بينما في سورة طه راعى القياس لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها".[6]

نرى أن تكرار ذكر الآيات من سورة إلى أخرى ليس عبثيا بل له بعد تذكيري بالإضافة إلى الإقرار بإعجاز القرآن.

---

[1] سورة ق، الآية 23.

[2] سورة ق، الآية 28.

[3] الكرماني محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر احمد عطا، دار بوسلامة، د ط، د ت، ص 228.

[4] سورة ق، الآية 39.

[5] سورة طه الآية 130.

[6] الكرماني محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن، مرجع سابق، ص 229.

وكذلك أصحاب الرس تقديم ذكرهم في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، وذكرت في "ق" في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾[2] و"أصحاب الرس قوم عرفوا بالإضافة إلى الرس، فيحتمل أن إضافتهم إلى الرس من إضافة الشيء إلى موطنه مثل "أصحاب الأيكة" "وأصحاب الحجر"، ويجوز أن يكون إضافة المحدث حل بهم مثل أصحاب الأخدود في تعيين أصحاب الرس، هناك أقوال ثمانية أو تسعة وبعضها متداخل حول أصحاب الرس".[3]

ومما سلف نرى أن ظاهرة التكرار وردت في صور مختلفة تمثلت في اللفظ والمعنى، الحذف، وهذا تكرار ذكر الآيات بين السور وهذا كله أعطى للسورة بعدا فنيا جماليا مما دل على إعجاز وبلاغة القرآن.

كما أن العرب تميزوا في كلامهم بهذا النوع من الأساليب باعتبار أنها تزيد الكلام قوة في معناه وتأديته وفي الغالب يرد التكرار بهدف التأكيد فكل كلمة أو جملة أو بالأحرى حرف موجود في القرآن له معنى خاص وحكمة في وروده كما أن التكرار يعد وحدة رئيسية ومهمة في الكلام، إذ به يتمكن المتكلم من أن يؤكد ويثبت آراءه أو أقواله، فلهذا قلنا عنه وحدة رئيسية ومهمة.

[1] سورة الفرقان، الآية 38.

[2] سورة ق، الآية 12.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 319.

المبحث الثالث: الحذف

يقول الجرجاني: «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، به بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجد رد أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذ لم تبين»[1]

بمعنى أن ظاهرة الحذف لها أهمية خاصة وهي أبلغ من الإفصاح أحيانا، "وقد حذفت العرب الجملة، والمفردة، والحرف، والحركة، وليس لشيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته".[2]

بما أننا سبق و رأينا عدة ظواهر أسلوبية احتوتها سورة "ق" فإننا نقف الآن أمام ظاهرة أخرى ألا وهي ظاهرة الحذف، فوجودها طاغ في السورة والجدول أدناه يوضح ذلك:

الحذف في سورة "ق":↓

الآية	رقمها	موضع الحذف
﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾	1	جواب القسم محذوف
﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾	2	حذف الضمير حذف حرف الجر من
﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ ﴾	3	حذف المستفهم عنه حذف جواب إذا

[1] الجرجاني عبد القاهر: دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص 108.

[2] ابن جني أبو الفتح عثان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار كتب المصرية، القسم الأبي، ط2، 1952، ص 360.

↓ للدلالة على موضع الحذف.

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾	4	حذف خبر مقدم
﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾	7	حذف فعل
﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾	8	حذف متعلق (تبصرة، ذكرى)
﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾	9	حذف موصوف
﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾	15	الفاء عاطفة على محذوف
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾	16	جواب قسم محذوف
﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17	حذف مفعول به
﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	19	مقول القول محذوف
﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾	21	حذف خبر مقدم
﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	حذف مبتدأ الخبر
﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	حذف النون حذف مقول القول
﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	حذف خبر كان

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ↓ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	حذف خبر موجود
﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ↓ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾	31	وصف لظرف محذوف
﴿ ↓ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾	34	مقول القول محذوف
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا ↓ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	حذف الحال
﴿ وَٱسۡتَمِعۡ ↓ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾	41	حذف مفعول
﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ↓ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	حذف ياء المتكلم

نجد أن الحذف كما هو موضح في الجدول إما على مستوى الجملة أو الكلمة وأحيانا الحرف، فالحذف الذي على مستوى الجملة نجده في مثل قوله تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾[1] "الواو حرف قسم والقرآن مقسم به والمجيد صفة والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره "أنك جئتهم بالبعث فلم يقولوا بل عجبوا" وقيل هو مذكور واختلفوا في تقديره فقيل هو "قد علمنا" وقيل هو قوله "ما يلفظ من قول" والأولى أولى وأرسخ عرقا في البلاغة".[2]

كما ورد في تفسير التحرير والتنوير لـ: محمد الطاهر بن عاشور أن تقديرها "والقرآن المجيد إنك لرسول الله بالحق"، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ

[1] سورة ق، الآية 1.

[2] الدرويش محي الدين: عراب القرآن وبيانه، ج7، مرجع سابق، ص 281.

رَّحِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] أو يقدر الجواب: أنه لتنزيل من رب العالمين، أواخر ذلك كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[2]، والإضراب الانتقالي يقتضي كلاما منتقلا منه والقسم بدون جواب لا يعتبر كلاما تاما فتعين أن يقدر السامع جوابا تتم به الفائدة يدل عليه الكلام"[3].

كما نجد في المقابل حذف الكلمة في مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، هنا "حذف مفعول "يلتقي" لدلالة قوله: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[5] والتقدير إذ تحصى أقوالهم وأعمالهم. ومفعول "يلتقي" ما دل عليه قوله بعده "وجاءت سكرة الموت" وتقديره: "إذ يلتقي الملتقيان روح الانسان" كما نجد في هذه الآية حذف خبر لمبدأ والتقدير "عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد" فحذف الأول اختصارا لدلالة الثاني عليه"[6].

نرى أن الحذف هنا كان بهدف تجنب التكرار وكذا لإبراز البعد البلاغي، ونجد كذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[7]، لدي ظرف متعلق بعتيد أي هذا شيء عتيد لدي حاضر عندي ويجوز على هذا أن يكون لدي وصفا لما. وعتيد صفة ثانية أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو عتيد.[8]

---

[1] سورة يس، الآية 58.

[2] سورة غافر، الآية 1، 2

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 277، 301، 305.

[4] سورة ق، الآية 17.

[5] سورة ق، الآية18.

[6] عبد السلام أبوشادي مصطفى: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1991، ص 47.

[7] سورة ق، الآية 23.

[8] الدرويش محي الدين: اعراب القرآن وبيانه، ج7، مرجع سابق، ص 290.

كما تجدر الإشارة إلى نوع آخر من أنواع الحذف صادفنا في آيات السورة وهو حذف الحرف وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، "فألقيا حدث فيها حذف الياء حذف تخفيف"[2] و"صيغة المثنى يجوز أن تكون مستعملة في أصلها فيكون الخطاب للسائق والشهيد ويجوز أن تكون مستعملة في خطاب واحد وهو الملك الموكل بجهنم وخوطب بصيغة المثنى جريا على طريقة مستعملة في الخطاب جرت على ألسنتهم لأنهم يكثر فيهم أن يرافق السائر رفيقان، وهي طريقة مشهورة".[3]

نرى هنا أن حذف النون كان لهدف واحد وهو تسهيل في نطقها أي لتكون خفيفة على اللسان.

كما نجد حذف الحرف في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾[4] "حذفت الياء في لفظة "يناد" اتباعا لرسم المصحف، المناد فاعل حذفت الياء في بعض القراءات للرسم أيضا وهذا الحذف تكرر في مثل قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[5]، فهنا الحذف في "وعيد""[6].

مما تقدم ذكره لاحظنا أن الحذف ورد في سورة "ق" في أكثر الآيات وخاصة حذف الكلمة وهذا ما أعطى السورة بعدا بلاغيا وساهم في إضفاء روح الاجتهاد عند العديد من العلماء وذلك بهدف الكشف عن المحذوفات لتدقيق المعاني وهذا ما جعل التفسير في حركة دؤوبة.

[1] سورة ق، الآية 24.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 311.

[3] الدرويش محي الدين: عراب القرآن وبيانه، ج7، مرجع سابق، ص 299.

[4] سورة ق، الآية 41.

[5] سورة ق، الآية 45.

[6] الدرويش محي الدين: اعراب القرآن وبيانه، ج7، مرجع سابق، ص 299.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير.

يقول الجرجاني: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد العناية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا ... ثم تنظر فتجد أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان».[1]

نرى أن عبد القاهر الجرجاني يرمي إلى البعد النفسي فظاهرة التقديم والتأخير ليست عبثية إنما يكون لها ميزة خاصة ليس من ناحية التركيب فقط بل وقعها على نفس المتلقي، كما أن العناية والاهتمام من الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير فهي المركز الذي تدور في فلكه الأغراض، وأصل تعود إليه وتنتسب، ومصدر عنه تتفرع وتتشعب وهذا ما أشار إليه السكاكي إذ التقديم إما لأن الأصل في الكلام التقديم وإما للعناية والاهتمام.[2]

فالقرآن الكريم لم يخل من هذه الظاهرة إذ نرى في سورة "ق" ورودا لها، فمنها ما تشكله ظاهرة بلاغية ومنها ما تفرضه قواعد النحو، فالظاهرة البلاغية تكون لغرض إظهار محاسن الكلام الجمالية، أما قواعد النحو فهي راجعة إلى تراكيب الكلام.

التقديم والتأخير في سورة "ق":

الآية	رقمها	موضع التقديم والتأخير
﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ ﴾	10	تقديم لها على الطلع (الطلع مبتدأ مؤخر)
﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ ۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾	11	تقديم المجرور على المبتدأ (كذلك خبر مقدم وخروج مبتدأ)

[1] الجرجاني عبد القاهر: دلائل الاعجاز، مرجع سابق، ص 106.

[2] عون علي أبو قاسم: بلاغة التقديم والتأخير، دار المدار الاسلامي، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 254.

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17	عن اليمين خبر مقدم قعيد خبر مؤخر
﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾	18	لديه خبر مقدم رقيب مبتدأ مؤخر
﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	19	تقديم منه على تحيد للاهتمام بالفاصلة
﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾	21	حذف خبر مقدم سائق مبتدأ مؤخر
﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	تقديم معنى عتيد عند قوله تعالى "إلا لديه رقيب عتيد"
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	37	تقديم له (خبر كان) وقلب اسمها
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	تقديم إلينا (خبر) على المصير
﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	تقديم المجرور في علينا للاختصاص

من بين صور التقديم والتأخير في سورة "ق" نجد قوله تعالى: ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[1]، هنا "تقدم المجرور على المبتدأ للاهتمام بالخبر لما في الخبر من دفع الاستحالة وإظهار التقريب، وفي تشويق لتلقي المسند إليه، بعد ظهور الدلائل بصنع الله على إمكان البعث لأن خلق تلك المخلوقات من عدم يدل على أن

[1] سورة ق، الآية 11.

إعادة بعض الموجودات الضعيفة أمكن وأهون، فجيء بما يفيد تقريب البعث بقوله "كذلك الخروج"، والإشارة "بذلك" إلى ما ذكر آنفا من إحياء الأرض بعد موتها، أي كما أحيينا الأرض بعد موتها، كذلك نحيي الناس بعد موتهم وبلاهم"[1].

كما وردت الظاهرة في مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، هنا "يجوز أن يكون "قعيد" بدلا من المتلقيان بدل بعض "وعن يمين" متعلق بـ "قعيد"، وقدم على متعلقه للاهتمام بما دل عليه من الاحاطة بجانبيه وللرعاية على الفاصلة، كما يجوز أن يكون على اليمين خبرا مقدما وقعيد مبتدأ فتكون الجملة بيانيا لجملة يتلقى المتلقيان، وأرجع الرأي كون الجملة بيانية أبلغ، أما الغرض من التقديم فهو الاهتمام والرعاية على الفاصلة"[3]. و"تقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين، فترك أحدهما الدلالة الثاني عليه".[4]

كما نجده في قوله تعالى: «وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد»[5] هنا تقدم متعلق خبر كان للاهتمام والتنبيه وكذا رعاية الفاصلة وبالتالي غرض لفظي[6] أي تقدم "منه" على لفظ "تحيد" .

بالإضافة إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[7]، إذ تقدم معنى "عتيد" عند قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[8]، وهو هنا متعين للمعنى الذي فسر عليه المفسرون أي معد ومهيأ وكذلك نجد تقدم في المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ

[1] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 294 ،295.
[2] سورة ق، الآية 17.
[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 302.
[4] الزمخشري: الكشاف، ج5، ص 597.
[5] سورة ق، الآية19 .
[6] عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، ج2، مرجع سابق، ص 497.
[7] سورة ق، الآية 23.
[8] سورة ق، الآية 18.

قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، فالقرين هذا هو الذي تقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]، هنا "تقدم خبر كان "له" أعلى اسمها والغرض منه هو الاهتمام بامتلاك الإنسان للقلب السليم حثا له على التأمل والتذكر، فصاحب القلب السليم مدفوع للتذكر والتأمل في كنه ما يشاهده".[4] بالإضافة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾[5]،هنا "تقدم "إلينا" وتأخر لفظ "المصير" أي تخصيص الله عز وجل المصير إليه سبحانه فتقدم المجرور للقصر مع ذلك تحقق التناسب برعاية الفاصلة"[6].

كما أن التقديم لغرض الاختصاص ورد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾، [7] هنا "تقدم المجرور في "علينا" للاختصاص، أي هو يسير في جانب قدرتنا لا كما عمه نفاة الحشر"[8]، وهذا ما أشار إليه الزمخشري في تفسيره الكشاف إذ قال: "لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن"[9].

---

[1] سورة ق، الآية 27.

[2] سورة ق، الآية 23.

[3] سورة ق، الآية 37.

[4] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 311 ،313.

[5] سورة ق، الآية 43.

[6] عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير، ج2، مرجع سابق، ص 305.

[7] سورة ق، الآية 44.

[8] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 333.

[9] عون علي أبو القاسم: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، ج2، مرجع سابق، ص374.

إذن التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية لها وزن ثقيل فمن الناحية النحوية ساهمت في حسن تركيب مما حافظ على اتساقها وانسجامها، كما أدت الظاهرة أغراض بلاغية كالتخصيص والاهتمام بأمر المتقدم ورعاية نظم الكلام وموسيقاه وتقوية الأحكام وتقريرها.

المبحث الخامس: الالتفات

ويعد الالتفات (ومعه الكثير من الألوان البلاغية) من الظواهر التعبيرية التي يعنى بها علم الأسلوب برصدها وتحليلها في لغة الأدب، والواقع أن ميدان هذا العلم ناشئ في أحضان علم اللغة الحديثة.[1]

فالالتفات هو التحول والانحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك، وهو انحراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات الانحراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر.[2]

نرى أن أسلوب الالتفات متميز إذ يزيد الكلام رونقا وجمالا ويكمن سره في انزياحه عما هو معروف لدى الناس.

وقد ورد الالتفات في سورة "ق" بأنواع مختلفة مثل العدد، الضمائر وغيرها وسنوضح ذلك من خلال الجدول أدناه:

الالتفات في سورة "ق":

الآية	رقمها	الالتفات	نوع الالتفات
﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾	14	التفات العدد	أفراد – جمع
﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾	15		
﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾	27	التفات العدد	تثنية – جمع
﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾	28		
﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	التفات العدد	أفراد – جمع

[1] طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العريس، القاهرة، 1998، ص 33.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾	30		
﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	التفات العدد	جمع – أفراد
﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾	2	التفات الضمائر	إضمار – إظهار
﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	18 19	التفات الضمائر	غيبة – خطاب
﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾	34 35	التفات الضمائر	غيبة – خطاب
﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾	15	التفات الأدوات	تعريف – تنكير

إن أول التفات تجدر الإشارة إليه هو التفات العدد فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] معنى قوله تعالى "لا تختصموا لدي" أي "هذا النوع من المقاولة لا تفيد شيئا وقد قدمت إليكم بالوعيد وهو ما جاء به الرسل والكتب وجمع الضمير لأنه مخاطبة لجميع القرناء، إذ هو أمر شائع لا يقف عليه اثنين".[2]

نرى أن ظاهر الالتفات من نوع العدد في هذه الآية انتقلت من طابع التثنية في الآية الأولى إلى مخاطبة الجمع وهو التفات تابع لترجيع الحوار.

[1] سورة ق، الآية 27-28.

[2] الثعالبي عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، مرجع سابق، ص 271.

بالإضافة إلى الالتفات بالضمير في مثل قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾[1]، هنا ضمير عجبوا عائد إلى غير مذكور فمعاده معلوم من السياق.[2]

نرى أن الضمير في عجبوا أضمر إلا أن إظهاره كان في القسم الموالي من الآية في قوله: « قال الكافرون »، فهنا التفات الضمير زاد من بلاغة الآية وإعجازها فقد خوطبوا بما يعقلون من أساليب التعبير ففي هذا الموقع تعجيب لهم بما كانوا يتعجبون.

ونجد هذا النوع في مثل قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ ﴾[3]، هذا الإذان من كمال إكرام الضيف أن دعي إلى وليمة أو جيء به فإنه إذا بلغ المنزلة قيل له أدخل بسلام ويجوز أن يراد به أيضا تسليم الملائكة عليهم حيث دخولهم الجنة مثل قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾[4]، ومحل هذه الجملة من التي قبلها الاستئناف البياني لأن ما قبلها يثير ترق للإذن بانجاز ما وعدوا به[5]، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ ﴾[6]

وفي قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ ﴾[7]، يجوز أن تتكون من بقية ما يقال للمتقين ابتداء من قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ ﴾[8]، فيكون ضمير الغيبة التفاتا

[1] سورة ق، الآية 2.
[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 331.
[3] سورة ق، الآية 35.
[4] سورة يس، الآية 58.
[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 331.
[6] سورة آل عمران، الآية 107.
[7] سورة ق، الآية 35.
[8] سورة ق، الآية 32.

وأصله: لكم ما تشاءون، ويجوز أن تكون مما خوطب به الفريقان في الدنيا وعلى الاحتمالين فهي مستأنفة استئنافا بيانيا.[1]

نرى أن خطاب الله كان بلغة أهلها إذ العرب معروف عنهم الكرم والجود ولذلك نجد قوله: «أدخلوها بسلام ...» فالله كريم بعباده كيف لا وهو من خلق فيهم خلق الكرم لذلك خاطبهم بما يفقهون وفي قوله لهم ما يشاءون أي أن الاختيار بين يديهم فليختاروا في دنياهم أي الطريقين يسلكون فإن كانت الجنة هدفهم فإنهم سوف يكرمون بما بشروا به وهناك أمور غيبية لم يصرح بها قد لا تخطر على بالهم قط فلا وجود لكرم أعلى من كرم الخالق.

فصورة الالتفات أعطت بعدا فنيا جماليا دقيقا بدأ بخطابهم بما ألفوه ثم شوقهم لما سوف يلقوه ويجزوا به، بالإضافة إلى صور الالتفات التي ذكرناها نجد صورة أخرى من صوره وهي الالتفات بالأدوات وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥ ﴾[2]

معنى هذه الآية ما عجز عن الخلق الأول للإنسان فكيف نعجز عن إعادة خلقه أي هم يعلمون ذلك ويعلمون أن الخلق الأول للأشياء أعظم من إعادة خلق الأموات ولكنهم تمكن منهم اللبس الشديد فأغشى أبصارهم وإدراكهم عند دلائل الإمكان فأحالوه، والتنكير في قوله تعالى: «خلق جديد» لبس واصل إليهم ومنجز عن خلق جديد كما أن التنكير ما هو إلا خلق من جملة ما يقع من خلق الله للأشياء.[3]

نرى أن أسلوب الالتفات بالأدوات هنا كان من خلال التعريف والتنكير، إذ أنهم على علم مسبق بما خلق الله من سماوات وأرض وغيرها فكيف يعجز على أن يخلق من

[1] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 321.
[2] سورة ق، الآية 15.
[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 321.

جديد إنسانا وهو من أضعف مخلوقاته فهنا التنكير التفات للتعريف فلهم أن يتوقعوا ويكونوا على ثقة أن قدرة الله ليس لها مثيل، فهذه الآية خير دليل على أن الكفار في ضلال وأن تعجبهم لا صحة منه، لأن كل شيء معلوم عندهم إلا أنهم يتعمدون تجاهل الأمور.

ومما سلف ذكره نرى أن ظاهرة الالتفات في القرآن عامة وسورة "ق" على وجه الخصوص ميزة خاصة، إذ إنها أعطت للسورة فاعلية، فعلى الرغم من أن الخروج عن المألوف يعد تحديا وخرقا للغة إلا أنه خرق إيجابي يزيد من التفاعل بين المبدع والمتلقي وهذا ما حصل، فإذا قرأنا الآيات الكريمات نجد لها وقعا خاصا على النفس وكأن كل كلمة خلقت في مكانها إن غيرناها بأخرى ذهب رونقها ونحس بنقص في تذوقها وحتى في شدة تأثيرها.

مما سلف نرى أن الناس جلهم ينظرون إلى ما خلق الله وأبدعا إلا أنهم يتفاوتون فيما بينهم أي في عقولهم وعلومهم ومع ذلك الآية صالحة لإفهام جميع الطبقات، فعلى الرغم مما يشاهدونه من إبداع في الخلق إلا أنهم ينكرون قدرة الله في خلقه. إذن فالمستوى التركيبي هو الآخر مكمل للمستوى الصوتي والدلالي إذ يساهم في عرض الأفكار بطريقة متوالية متسقة منسجمة مع بعضها البعض، فله إسهام في تحقيق البعد الجمالي الفني والذي يزيد من تقوية الدلالة هو الانحراف الذي يعد من أهم مميزات المستوى التركيبي.

الفصل الرابع

المستوى الدلالي

المبحث الأول: الحقول الدلالية.

المبحث الثاني: المشترك اللفظي.

المبحث الثالث: الترادف والتضاد.

تعد اللغة المسوغ الأساسي لوجود أي أثر. ولغة القرآن لها ميزة خاصة، فهي معجزة اللفظ والمعنى لذلك فإننا بدراسة المستويات اللغوية التي كان المستوى الصوتي في مقدمتها لحظنا تناغم الأصوات وانسجامها مع الموضوع العام للسورة، مما مكن من تشكيل دلالات ومعاني دقيقة وهذا ما يساعدنا في الكشف عنها من خلال المستوى الدلالي الذي تندرج ضمنه مجموعة من الظواهر.

المبحث الأول: الحقل الدلالي

هو "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض... الخ"[1]

ويعد "الحقل الدلالي مستوى المادة الخام التي يستلهمها الدارس منهجا تجريبيا على موضوع من الموضوعات اللسانية والأدبية، أي النظرية هي مجموعة منظمة ومتناسقة من المبادئ والقواعد، والقوانين العلمية التي تهدف إلى وصف وشرح مجموعة من الأحداث والظواهر". [2]

نرى أن مصطلح الدلالة المعجمية يحمل نفس المعنى الذي يحمله مصطلح الحقول الدلالية وهي عبارة عن مجموعة ألفاظ لها علاقة على مستوى الدلالة وتنطوي تحت لفظ شامل لها أي حقل واحد.

والقرآن الكريم ثري بالحقول الدلالية فقد وردت في سورة "ق" مجموعة من الحقول منها: حقل الماديات والمعنويات اللذان تضمنا حقل الطبيعة، حقل العقاب، حقل الثواب، وغيرها.

[1] عمر أحمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص 79.

[2] عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العلاب، دمشق، سوريا، دط، 2002، ص 10.

1- حقل الماديات والمعنويات:

نرى أنه لحقل الماديات دلالة قوية تبعث في النفس الخشوع وإعادة النظر في كل ما يحيط بنا والسورة الكريمة شملت ألفاظا عدة دالة على الملموسات فتوزعت بين ألفاظ الطبيعة وألفاظ المكان، كل لفظ حمل دلالة معينة إلا أن جل معانيها موجهة إلى لفت انتباه الكفار الذين كذبوا بحقيقة البعث. هذه الألفاظ كلها توحي إلى إبداع الله في خلقه وقدرته التي كانوا بها يستهزئون حيث صور لهم هذه الملموسات التي هم دائمو النظر إليها لكن دون تأمل وتدبر. فحقيقة الخلق لا يختلف فيها اثنان وهي هينة عند الله عز وجل، فقد ذكرت في أكثر من سورة. وسورة "ق" مطلعها بدأ بما خلق الله وأبدع.

وفي المقابل نجد حقل المعنويات الذي يصور به حقيقة البعث والجزاء والثواب الذي ينتظر الفريقين فشملت حقل الزمان، وحقل الثواب والعقاب فنجد هذا التصوير جاء في المقاطع المتوالية.

إذ إن الله عز وجل توعد الكفار بالعقاب والمؤمنين بالثواب، كلا الحقلين _المادي والمعنوي_ يحمل دلالات عدة وسنفصل فيها فيما سيأتي من الدراسة.

حقل الماديات:

حقل الماديات	الآية الشاهدة	رقم الآية
ترابا	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾	3
الأرض	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾	4
السماء	﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾	6
الأرض_رواسي	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ	7

زوج بهيج	﴿ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾	
النخل_ طلع نضيد	﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ ﴾	10
جهنّم	﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ۝٢٤ ﴾	24
الجنة	﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۝٣١ ﴾	31
الطلوع _الشمس_الغروب	﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ ﴾	39

حقل المعنويات:

حقل المعنويات	الآية الشاهدة	رقم الآية
كذلك الخروج	﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ ﴾	11
حق وعيد	﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ ﴾	14
يوم الوعيد	﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠ ﴾	20
العذاب الشديد	﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ﴾	26
وقدمت إليكم بالوعيد	﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ۝٢٨ ﴾	28
وما أنا بظلام للعبيد	﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٢٩ ﴾	29
هذا ما توعدون	﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ۝٣٢ ﴾	32
أدخلوها بسلام	﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ۝٣٤ ﴾	34
يشاءون	﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥ ﴾	35

قرن	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	36
في ستة أيام	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	38
ومن الليل أدبار السجود	﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾	40
يوم يناد المناد	﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾	41
يوم يسمعون الصيحة يوم الخروج	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42
يوم تشقق الأرض	﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	44

الحقول الدلالية الناتجة عن حقلي الماديات والمعنويات:

الحقول الدلالية	الألفاظ الدالة
حقل الطبيعة	تراب، الأرض، السماء، الرواسي، زوج بهيج، السماء، ماء، جنات، حب الحصيد، بهيج، النخل، طلع، بلدة، الشمس
حقل الزمان	يوم الوعيد، يوم نقول لجهنم، يوم الخلود، قرن، ستة ايام، قبل طلوع، قبل الغروب، ومن الليل، أدبار السجود، يوم يناد، يوم الخروج، يوم تشتق الأرض
حقل المكان	جهنم، الأرض، البلاد، الجنة، مكان قريب، بلدة، السماء، اليمين، الشمال، الرواسي، جنات.
حقل العقاب	حق الوعيد، نفخ في الصور، العذاب الشديد، يوم نقول لجهنم هل امتلأت، كم أهلكنا قبلكم، هل من مزيد، ألقيا في جهنم، لا تختصموا لدى.

حقل الثواب	أزلفت الجنة، أدخلوها بسلام، لهم ما يشاؤون، لدينا مزيد، هذا ما توعدون، ولكل أواب حفيظ، نفخ في الصور.

أ- حقل الطبيعة:

قدمنا في الجدول حقل الطبيعة لأن السورة استهلت في مقطعها الأول بألفاظ دالة على خلق الله عز وجل المرتبط بالموجودات الطبيعية، وأولها كان لفظ "تراب" وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾[1]

فحقل الطبيعة الذي أدرجنا ضمنه ألفاظا دلت عليه هو بمثابة عرض لنعم الله التي أنعم بها على خلقه، وكذا قدرته التي لا تضاهيها أية قدرة مهما كانت إذ نجدها عرضت بأسلوب حجاجي يرمي به لتفنيد وإبطال تعجب وتكذيب الكفار بالبعث وغيره، وذلك بتقديم أدلة كونية ملموسة.

و"هذه الحقائق الكونية المتجلية في التراب، السماء، والأرض، الماء والنبات، وفي الثمر والطلع... هي بمثابة إشعاع مباشر للحس والضمير"[2]

وقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ﴾[3]، "فالمسألة في نظرهم هي مسألة استبعاد الحياة بعد الموت والبلى وهي نظرة ساذجة(...)، لأن معجزة الحياة التي حدثت مرة يمكن أن تحدث مرات أخر، كما أن هذه المعجزة تقع أمامهم في كل لحظة وتحيط بهم في جنيات الكون كله وهذا هو الجانب الذي قادهم إليه القرآن في هذه السورة". [4]

كما أن"الناس يموتون ويصيرون ترابا(...)، وكل من يقرأ حكاية قول المشركين يلتفت مباشرة إلى ذات نفسه، وإلى غيره من الأحياء حوله، يلتفت ليتصور الموت والبلى

[1] سورة ق، الآية 3.
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3351.
[3] سورة ق، الآية 3.
[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3357.

والدثور، بل ليحس دبيب البلى في جسده، وهو بعد حي فوق التراب، وما كالموت يهز قلب الحي وليس كالبلى يمسه بالرجفة والارتعاش"[1]

كما يصور الأرض تأكلهم شيئا فشيئا ويقوي من وقعها في قوله تعالى:﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾[2]

نرى أن الألفاظ الدالة على الطبيعة تكررت في السورة خاصة في المقطع الأول وذلك للدلالة على قدرة الخالق، وكذا لتترك أثرا ووقعا في نفس متأمليها وهي بمثابة مواجهة للكفار لأنهم أنكروا البعث فلو أنهم تأملوا بالملموسات إلى هم دائمو النظر إليها وبالبصيرة وليس بنظرة العابرة، كما كان في قلوبهم زيغ من البعث.

إذن: ورود الطبيعة في السورة ذو بعد حجاجي، الغاية النهائية منه هي وضع المشركين أمام الأمر الواقع ودعوتهم للتأمل في محيطهم المادي، ومن ثمة السير بهم نحو الاقتناع والإيمان والتسليم والانقياد لله تعالى.

ب- حقل الزمان:

بالإضافة إلى حقل الطبيعة أدرجنا حقل الزمان والذي تندرج ضمنه مجموعة من الألفاظ التي تحمل دلالة زمانية مثل: يوم الوعيد، قبل الطلوع، قبل الغروب، ستة أيام...

فمعظم هذه الألفاظ لها دلالة على يوم الحشر باعتبار أن السورة تصور أهوال يوم القيامة وما ينتظر المكذبين من جزاء والمؤمنين من ثواب بالإضافة إلى المدة التي خلق الله فيها مخلوقاته والتنبيه إلى أوقات صلاة النوافل والتسبيح لأن التكذيب اشتمل الرسالة وما تحمله من حقائق. فنجد في قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق ، ص 3357.

[2] سورة ق، الآية 4.

ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1]، "فهو لا يحجبه حجاب، وهذا هو الموعد الذي غفلت عنه وهذا هو الموقف التي تحسب حسابه، وهذه هي النهاية التي كنت لا تتوقعها، فالآن أنظر فبصرك اليوم حديد".[2]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾[3]"سمي ذلك اليوم بيوم الخلود لأن الناس يصيرون إلى دار الخلود فالكفار مخلدون في النار والمؤمنون مخلدون في الجنان". [4]

نرى أن يوم الخلود دال على الزمان يحمل دلالة على أن المسلمين بدخولهم الجنة ذلك هو يوم مكوثهم في دار الخلد. كما نرى أن ألفاظ حقل الزمان جاءت متلاحمة مع بعضها البعض من بداية السورة حتى نهايتها وولدت لنا دلالة مميزة فقدرة الله على الخلق هينة، فقد خلق مخلوقاته في ستة أيام.

لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾[5]

والأوقات التي ينال فيها المؤمنون الثواب هي أوقات التسبيح والصلاة إلا أن الكفار كانوا ينكرون كل هذا، فالكفار ينتظرهم يوم موعود وهو يوم الحشر إذ فيه يثبت كل ما كان لديهم هين على الرغم من عظمته.

[1] سورة ق، الآية 22.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3364.

[3] سورة ق، الآية 34.

[4] الأشقر عمر سليمان: اليوم الآخرة القيامة الكبرى، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986، ص 25،26.

[5] سورة ق، الآية 38.

ت- حقل المكان:

إن حقل المكان اشتمل على ألفاظ دالة على المكان جلها كانت إما على لفظ الجنة أو النار باعتبار أن موضوع السورة ومحتواه الرئيسي هو يوم الوعيد وهو اليوم الذي يتخذ فيه كل من الفريقين طريق إما الجنة أو النار، وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

ففي الآية دلالة على "غضب الله عز وجل في الموقف العصيب الرهيب وبيانا لمكانة الكافر من جهنم التي بدأ الأمر بإلقائه فيها[2]، فلفظة جهنم هي المكان الذي توعد الله به الكافرين في قوله تعالى:﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[3]، البلدة هي القطعة من الأرض هنا نجد تشبيه الجدب بالموت في انعدام ظهور الآثار، ولذلك سمى هذه وهو إنبات الأرض حياة". [4]

مما تقدم نرى أن حقل المكان سواء كان بعبارته الصريحة أو لفظة دلت عليه إلا أن اجتماعها يعطينا دلالة على أن الله سيجازي كل بما صنع فالمؤمنون بجنات الخلد والكفار بجهنم.

إذ نجد في سورة عرض لجهنم وأهوالها ليوليها بعرض للجنة ونعيمها، فالمشهد الأول كان مشهد تخويف أما الثاني فهو مشهد يطمئن به المؤمنين.

نرى أن حقل المكان في سورة "ق" ركز فيه على جانبين، جانب يدل على جهنم والثاني يدل على الجنة ونعيمها إذ أن دلالتها توحي إلى أن الكفار الذين كذبوا بالبعث وكانوا في لبس منه ينتظرهم عقاب عسير بينما الصادقين التوابين المتقين مرحب بهم في الجنة

---

[1] سورة ق، الآية 24.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3365.

[3] سورة ق، الآية 11.

[4] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 294.

ودخولها يسير، فهذا التصوير منح للنص حيوية وكذا حركية وإيقاع وبلاغة، وهذا لا نجده إلا في كتاب واحد وهو القرآن الكريم ففيه نقلة نوعية اعجازية ليس لها مثيل، في تصوير مشاهد يوم القيامة.

ث- حقل العقاب:

يعد حقل العقاب من أهم الحقول التي آثرنا إحصاءها وذلك لاعتبار أن السورة موجهة للذين ضلوا عن طريق الله وعمت كل من أبصارهم وبصيرتهم عن التدبر في خلق الله ولينذرهم ويلفت انتباههم لحقيقة البعث، وردت عدة ألفاظ تدل على ما ينتظر المشركين من جزاء عقابي يوم لا ظل إلا ظله، ومن بين هذه الألفاظ: حق وعيد، العذاب الشديد.

نجد في الآية الكريمة قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] هذه الآية "بداية لمقطع ذكر فيه جزاء الكفار، المشهد كله مشهد حوار فتعرض جهنم فيه معرض الحوار بهذا السؤال والجواب "يتجلى مشهد عجيب رهيب... هذا هو كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب ... هؤلاء هم كثرة تقذف في جهنم تباعا وتتكدس ركاما، ثم تنادى جهنم في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]، أي اكتفيت ولكنها تتملص وتتحرق وتقول في كظة الأكول النهم: «هل من مزيد »، فيا للهول الرعيب". [3]

نرى أن ألفاظ حقل العقاب تحمل دلالة مهمة وهي النتيجة الحتمية التي تنتظر كل كفار ضال عن سبيل الله لأنهم لم يستجيبوا ولم يصدقوا منذرهم النبي الحق الذي جاءهم برسالة الحق إلا أنهم أبوا وتعجبوا وكذبوا. لذلك فجهنم بلهفتها تنتظرهم لتكدسهم على الرغم من كثرتهم، إلا أن المكان يسعهم.

---

[1] سورة ق، الآية 22.

[2] سورة ق، الآية 30.

[3] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3356.

ج- حقل الثواب:

يضم حقل الثواب مجموعة من الألفاظ التي تدل على ثواب والأجر الذي يكرم به الإنسان المؤمن يوم الفصل، فبعد العرض الذي كان موجها للكفار وما ينتظرهم نجد أنفسنا أمام مشهد آخر فهنا نرى عرض ضدي لما سيكافئ به المؤمنين.

ورد في سورة "ق" عدة ألفاظ دالة على ذلك مثل: أزلفت الجنة، لهم ما يشاءون أدخلوها بسلام، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

فالتكريم في هذه الآية يظهر في كل كلمة وفي كل حركة فالجنة تقرب وتزلف، فلا يكلفون مشقة السير إليها، بل هي التي تجيء (غير بعيد) ونعيم الرضى يتلقاهم مع الجنة ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]،وقوله: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] "فيوصفون بهذه الصـــــفة من الملأ الأعلى، ويعلمون أنهم في ميزان الله أوابون، حفيظون، يخشون الرحمن ولم يشهدوه، منيبين إلى ربهم طائعون".[4]

نرى أن حقل الثواب منح للنص ديناميكية فوردت ألفاظه بصور متتالية مصورة ليوم الثواب زاد من أثر وقعها على المتلقي وبين الصلة القوية التي تربط الله بعباده الصالحين فهذه حقيقة لا مفر منها كما أن لهذا الحقل دلالة على أن الله لا يضيع أجر من تبع طريقه ونال رضاه.

---

[1] سور ق، الآية 31.

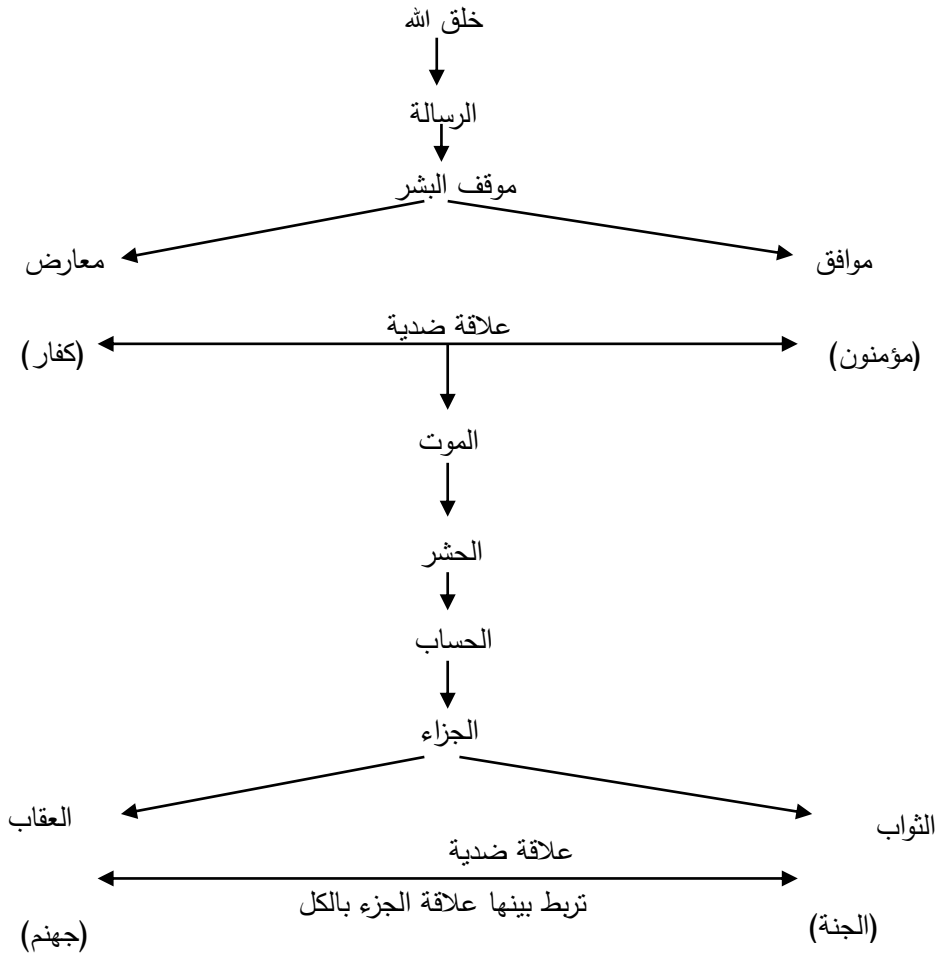
[2] – سورة ق، الآية 32.

[3] – سورة ق، الآية 33.

[4] – سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، مرجع سابق، ص 3365.

ويمكن أن نلخص تداخل هذه الحقول بالمخطط البياني التالي:

رسم تخطيطي للحقول الدلالية الواردة في السورة



من خلال دراستنا للحقول الدلالية التي حملتها السورة رصدنا العلاقة التي تربط هذه الحقول بعضها ببعض.

لنخلص إلى أن كل الحقول متلاحمة تشكل سلسلة واحدة مترابطة الأطراف لا يمكننا أن نفصل حلقة عن أخرى لأننا بفصل حقل عن آخر تحدث فجوة بارزة ويصبح هناك خلل على المستوى الجمالي الفني وحتى التركيبي وينعكس ذلك على المستوى الدلالي.

فهذه الحقول بمثابة شريط مصور بداية من لحظة الخلق والإبداع إلى الممات ثم إلى البعث ليليه الحشر والحساب، وبالحساب يكون الجزاء إما بالجنة أو النار، فهذه رقابة شديدة ودقيقة.

فعلى الرغم من استقلال كل حقل عن الآخر إلا أن انسجامها شكل لنا فسيفساء تمخضت عنها دلالات عدة أسهمت في إبراز مجموعة من القيم التعبيرية الفنية والفكرية والشعورية.

المبحث الثاني: المشترك اللفظي

يعد المشترك اللفظي صورة من صور تعدد المعنى، وهو لا يختلف عما أطلق عليه الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر لأنه يدخل في هذا النوع الأخير ويعد الأصوليون هم أكثر علماء العربية عناية به، لما له من علاقة وطيدة بالدلالة وآثارها في أحكام الشرع وتناوله الغزالي بقوله: "وأما المشتركة فيها الأسامي التي تنطق على مسميات مختلفة لا تشترك في الحد والحقيقة البتة، كاسم العين للعضو الباصر، وللميزان، وللموضع الذي ينفجر منه الماء وهي العين الفوارة... "[1]

والمشترك اللفظي صورة بارزة من صور التطور اللغوي، فإنه لا يعقل أن يكون لفظ واحد قد وضع لعدة من المعاني ابتداء، ولكن الواقع أنه نتيجة لعدة عوامل تسهم في وقوعه من ناحية النظرية، منها اختلاف اللهجات.[2]

إذن نرى أن المشترك اللفظي ظاهرة دلالية تحوي لفظة واحدة دالة، حاملة لمعاني مختلفة، والقرآن الكريم بصفة عامة وسورة "ق" على وجه الخصوص لم تخل من هذه الظاهرة والجدول الموالي يبين ذلك:

المشترك اللفظي في سورة "ق":

اللفظة	الآية (الشاهد)	رقم الآية	دلالتها
حفيظ	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾	04	حافظ لذلك كله، ويسمى حفيظا لأنه لا يدرس ما كتب فيه ولا يتغير مسبح لله تعالى ذاكر للذنوب

[1] عكاشة محمود: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1422هـ، ص 61.

[2] خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط1، 1985، ص 59.

	﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	ومستغفر.
قرينه	﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	23 27	سائقه الذي وكل به الشيطان الذي كان موكلا به في الدنيا
شهيد	﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	21 38	يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر متفهم كما يخبر به، شاهد له بقلب غير غافل عنه (الحضور– الشهادة)
قلب	﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾	33 37	تائب من الذنوب مقبلا إلى ربه العقل (العضو–العقل)

نجد لفظة شهيد وردت في سورة "ق" مرتين إلا أن دلالتها اختلفت بحسب السياق الذي جاءت فيه لقوله تعالى في الموضع الأول: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1] فحسب تفسير الكشاف للزمخشري فإن اللفظة ترمي إلى "ملك يشهد بالأعمال"[2]، وقد نحا محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير نفس المنحى إذ أن الشهيد تعني "ملك يشهد على النفس ما حوته صحائف أعماله"[3]، بينما شهيد التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن

[1] سورة ق، الآية 21.

[2] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص599.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص308.

لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] فهي تعني حسب الزمخشري "حاضر بفطنته لأنه من لم يحضر عقله فهو غائب"[2]، وتعني عند محمد الطاهر بن عاشور "قوة المشاهدة للذكر أي تحديق العين إليه للحرص على فهم مراده فالنظر بالعين للفهم"[3].

كما نرى أيضا في قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[4]، لفظة قلب هنا، هي "الرجوع إلى الله تعالى لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب"[5]، أي أنه "يوم الحشر يحضر مصاحبا قلبه المنيب إلى الله ولم يبطل عمله الصالح في آخر عمره".[6]

بينما نجد لفظة قلب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[7] تحمل دلالة مغايرة فهي تعني" قلبا واعيا لأن من لا يحي قلبه فكأنه لا قلب له والقلب أيضا يعني العقل وإدراك الأشياء على ما هي عليه"[8]

نرى أن لفظة شهيد لها معنيان فالأول يدل على الملك والثاني الحضور بفطنة، ولفظة قلب تعني القلب التائب وفي الآية الثانية وردت بمعنى العقل.

مما تقدم ذكره نرى أن ظاهرة المشترك اللفظي لها دلالة لغوية أسهمت في تعدد المعاني المعجمية كما أن السياق الذي ترد فيه اللفظة هو عامل محدد لمعانيها، وهذا ما أعطى للسورة معاني جديدة فلكل لفظة معنى خاصا على الرغم من اتحادهما في الكتابة والنطق، كما منح للمعاني حركية خاصة.

---

[1] سورة ق، الآية 38.

[2] الزمخشري: الكشاف، ج5، ص 604.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 324.

[4] سورة ق، الآية 33.

[5] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 603.

[6] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 320.

[7] سورة ق، الآية 37.

[8] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 603.

المبحث الثالث: الترادف والتضاد

1-الترادف:

الترادف هو اختلاف اللفظ واتحاد المعنى في كلمتين فأكثر و"قد تناوله الغزالي فقال: «وأما الترادف فنعني به الألفاظ المختلفة والصيغ الواردة على مسمى واحد كالخمر والعقار والليث والأسد، والسهم والنشاب... » وقال فخر الدين الرازي: «الألفاظ المترادفة هي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد»"[1]

واشتغل أهل اللغة بظاهرة الترادف وعدها بعضهم من أبرز خصائص اللغة وهي ألفاظ مفردة دالة على شيء واحد أي يقتضي وجود أكثر من كلمة متعددة أما المعنى فغير متعدد[2]، إلا أن هناك من رفض الترادف واعتبر تلك الألفاظ صفات.[3]

نرى أن الترادف هو ألفاظ مختلفة إلا أن معناها واحد وهي من أهم مميزات اللغة العربية إلا أن المسألة فتحت مجالا واسعا للنقاش فعلى الرغم من تحديد مفهوم المصطلح عند البعض إلا أننا نجد من يقف مخالفا له.

ولاحظنا من خلال دراستنا لسورة "ق" أن الألفاظ على الرغم من أنها تحمل معاني متقاربة إلا أن هذه الدلالات خاصة بحسب سياقها وكأن كل كلمة خلقت في مكانها فلا تستطيع أن تنزع كلمة وتدرج مكانها أخرى.

[1] عكاشة محمود: الدلالة اللفظية، مرجع سابق، ص 51.

[2] إسماعيل طالب محمد: مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآن والنص الشعري، كنوز المعرفة، ط1، 2011، ص 186.

[3] عكاشة محمود: الدلالة اللفظية، مرجع سابق، ص 25.

الترادف في سورة "ق":

اللفظة	الآية	رقم الآية	مرادفتها	الآية	رقمها
متنا	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾	03	رجع بعيد	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾	03
كذبوا	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾	05	أمر مريج عجبوا لبس	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾	05 02 15
خلقنا	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾	16	الخلق الأول	﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾	15
الله	﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾	26	إلها	﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾	26
وعيد	﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	يوم الخروج	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42
المتقين	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ	31	أواب	﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ	33

	﴿ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾		منيب	﴿ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	32
بظلام	﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	بجبار	﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾	45
يناد	﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾	41	الصيحة	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	42

يعد الترادف من أبرز خصائص اللغة العربية بصفة عامة ولغة القرآن على وجه الخصوص لأنه يتميز بأبرز ما يميز اللغة العربية من ظواهر، نزل بلسان أهلها لذلك نجد سورة "ق" وكغيرها من السور وردت فيها ظاهرة الترادف، فنجد لفظ كذبوا له ثلاثة مرادفات هي: أمر مريج، عجبوا، لبس، وذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[1]، فلفظة "أمر مريج" تعني كذبوا، وذكرت في تفسير الكشاف للزمخشري على أنها "تحمل معنى التكذيب بالحق من غير تفكير ولا تدبر"[2]، كما نجدها تعني في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور "التكذيب بما جاء به القرآن وهذا يعم التكذيب بالبعث وغيره"[3]، فلفظة أمر مريج تعني "مضطرب"[4]، و"المضطرب المختلط أي الإقرار في أنفسهم بهذا التكذيب"[5].

[1] سورة ق، الآية 5.

[2] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 59،26.

[3] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 284.

[4] الزمخشري: الكشاف، ج5، ص 393.

[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 284.

كما نجد لفظة "عجبوا" في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾ [1]، فهي تعني في التفسير بأنها تشتمل معنى "التكذيب"[2]، بالإضافة إلى لفظة "لبس" الواردة في قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ ﴾[3]، والتي تعني "الخلط والشبهة"[4] أي "قد لبس عليهم الشيطان والخلط للأشياء المختلفة الحقائق بحيث يتعذر معه تمييز مختلفاتها بعضها عن بعض، والمراد منه اشتباه المألوف المعتاد الذي لا يعرفون غير الواجب العقلي الذي لا يجوز انتفاؤه فإنهم اشتبه عليهم احياء الموتى"[5]

نرى أن لفظة "كذبوا" في سورة "ق" لها ألفاظ مرادفة لها وهي: أمر مريج، لبس، عجبوا، فالترادف هنا يحمل دلالة مهمة وهي إثبات لفكرة تكذيب الكفار بالرسالة السماوية وكل ما يخص البعث.

كما نجد لفظة "منيب" التي وردت في قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ﴾[6] فمرادفاتها هي لفظتي "أواب" التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ ﴾ [7]، ولفظة المتقين في قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ ﴾[8] فلفظة "منيب" تعني "الرجوع إلى الله تعالى"[9] و"القلب سبب الإنابة لأنه الباعث إليها"[10]

---

[1] سورة ق، الآية 2.

[2] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 394.

[3] سورة ق، الآية 15.

[4] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 592.

[5] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 26، مرجع سابق، ص 298.

[6] سورة "ق"، الآية33 .

[7] سورة ق، الآية 32.

[8] سورة ق، الآية 31.

[9] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 603.

[10] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 320

ولفظة "الأواب" لها نفس المعنى مع لفظة "منيب" "فالأواب الراجع إلى ذكر الله تعالى"[1] و"كثير الأواب أي الامتثال إلى أمره ونهيه"، كما أن لفظة "المتقين" تدل على "الرجوع إلى ذكر الله وهي الرجوع إلى مقابلة حالة الضالين يوم ينفخ في الصور"[2].

مما سلف نلاحظ أن لفظة "منيب" تحمل دلالة الرجوع إلى الله كما أن "أواب" و"المتقين" لها نفس المعنى وهذا له دلالة على أن الله يفتح باب التوبة لعباده إلا من أبى.

نرى أن ظاهرة الترادف ليست عبثية بل تحمل خصوصية ودلالات مميزة وهي كغيرها من الظواهر الدلالية إذ تساهم في تقوية وإثراء وإثبات المعاني والدلالات وتفعمها بديناميكية خاصة وحيوية إيحائية.

2- التضاد:

التضاد* ظاهرة لغوية تتصل بالعلاقات الدلالية بين الكلمات[3]، أي يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضده، وهو فرع من المشترك اللفظي ولكنه ميز عنه لأن المعنيين الذين يحملهما اللفظ الواحد متقابلان فسمي التضاد[4]

إذن التضاد حالة أسلوبية هادفة إلى إعطاء اللفظة وقبيلتها بالضد في اللفظ والمعنى وهذا ما يساهم في حركة المعاني.

نجد في سورة "ق" ورود ظاهرة التضاد إذ قمنا بتصنيفها في الجدول أدناه:

الأضداد في سورة "ق":

---

[1] الزمخشري: الكشاف، ج5، مرجع سابق، ص 603.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 320.

* ذهب بعض الدارسين المعاصرين إلى أن الأضداد وأخص من التضاد لأن هناك ما يحكم الأضداد وهو اتفاق اللفظين الدالين على معنيين مختلفين، وبهذا يعد مبحث الأضداد فرعا من مبحث المشترك الفظي.

[3] إسماعيل طالب محمد: مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني وال الشعري، كنوز المعرفة، ط1، 2011، ص 200.

[4] أبو عودة خليل: التطور الدلالي، مرجع سابق، ص 60.

اللفظة	الآية	رقم الآية	ضدها	الآية	رقم الآية
نحيي	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	نميت	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾	43
يمين	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17	شمال	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17
الطلوع	﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	الغروب	﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39
بعيد	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾	31	قريب	﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾	41
الجنة	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾	31	جهنم	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾	30
الحق	﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	19	معتد	﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	25
الآية			**ضدها**		
﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾		30	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾		31
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾		26	﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾		33

وردت ظاهرة التضاد في سورة "ق" بطريقتين مباشرة عن طريق اللفظ الصريح الواحد وغير مباشرة عن طريق معاني الآيات، ويظهر النوع الثاني جليا في المقطع الذي يتحدث فيه عز وجل عن جزاء الكفار وثواب المؤمنين.

ونجد التضاد في اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] حيث نلاحظ وجود متضادين هما: "الحياة" و"الموت"، أشير إليهما بلفظتي "نحيي" و"نميت"، هذا "إحياء بعد أن أماتهم هو من شؤوننا بأنا نحييهم ونحيي غيرهم ونميتهم ونميت غيرهم، والمقصود هو قوله "نميت"، وأما قوله "نحيي" فإنه لاستيفاء معنى تصرف الله في الخلق".[2]

إذ نرى أن لفظ نحيي هي ضد نميت فكما لله عز وجل القدرة على بث الروح في خلقه، له القدرة أيضا على وضع حد لها. فهذه الآية لها دلالة خاصة وهي إثبات وتأكيد على قدرة الله في خلقه، فله شؤون، وتضاد اللفظتين أعطى حركية إذ أن الحياة هي استمرار التواصل بينما الموت هي مقابلة لها فالموت هي انتهاء حياة الإنسان من وجه الأرض وقطع تواصله مع عالم الأحياء فالموت بيد الله عز وجل والكل راجع إليه فلا مفر، كما تجدر الإشارة إلى دلالة أخرى وهي تحقق معجزة الله في خلقه كما أنها مجسدة في واقعنا الحي.

كما نجد التضاد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3] فلفظة اليمين ضد الشمال إذ أن "لكل إنسان ملك اليمين الذي يكتب الحسنات وملك الشمال الذي يكتب السيئات، وملك اليمين أمير على ملك الشمال والعبد إذ أذنب يقول ملك اليمين للآخر تثبت لعله يتوب وورد في السنة بأساليب مقبولة: أن الذي يكون عن

[1] سورة ق، الآية 43.

[2] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 331.

[3] سورة ق، الآية 17.

اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات وورد أنهما ملازمان للإنسان من وقت تكليفه إلى أن يموت".[1]

نرى أن دلالة لفظتي اليمين وشمال يدلان على أن الله لا يضيع عمل انسان، فكل أعمالنا تسجل وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

في مقابل التضاد باللفظ نعرض إلى التضاد في الآيات وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[3] "قوله لجهنم مقصود به ترويع المدفوعين إلى جهنم أن لا يطمعوا في أن كثرتهم يضيق بها سعة جهنم فيطمع بعضهم أن يكون ممن لا يوجد له مكان فيها، فحكاه الله في القرآن عبرة لمن يسمعه من المشركين وتعليما لأهل القرآن ما يلقى فيها من أهل العذاب بأن يكشف باطنها للمعرضين عليها حتى يرو سعتها"[4]إذ يقابلها قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾[5] و"تقديرها يوم أزلفت الجنة للمتقين وهو رجوع إلى مقابل حالة الضالين، والإزلاف التقريب مشتق من الزلف في كلامهم، أي جعلت الجنة قريبا من المتقين أي أدنوا منها ومقربة منها كرامة لهم عن كلفة المسير إليها، وقد يكون عبارة عن تيسير وصولهم إليها بوسائل غير معروفة في عادة أهل الدنيا"[6].

مما تقدم ذكره نرى أن الآية الأولى موجهة للكافرين والمصير الذي ينتظرهم والآية التي هي ضد لها موجهة للمؤمنين وثوابهم، وهذا عرض ضدي الأول للعقاب والثاني للجزاء، إذ أن دلالة التضاد هنا وضحت الصورة أكثر مما زاد من جماليتها ودقة تصويرها

[1] الثعالبي عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحقيق: عمار الطابلسي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، د ت، ص266.
[2] سورة ق، الآية 29.
[3] سورة ق، الآية 30 .
[4] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 317 ،318.
[5] سورة ق، الآية 31.
[6] بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، مرجع سابق، ص 310 ،319.

والإبلاغ، وكذا تذوق المعاني بين الترهيب وتنزيل الاطمئنان على المؤمنين فالتقاء الضدين زاد من قوة الوقع وشدة الأثر على النفس المتلقية.

إذن ظاهرة التضاد في سورة "ق" منها ما جاء واضح وصريح ومنها ما جاء عن طريق المعاني التي تستقى من الآيات، فدلالة التضاد في السورة منح لها قوة تأثيرية فالانتقال من الشيء لضده ليس بالشيء اليسير، كما أنه ساهم في أداء الوظيفة التبليغية وإضفاء الحركية والتناغم بين الآيات.

ومن الملاحظ أن المستوى الدلالي ساهم في إثراء الرصيد اللغوي وولد معاني جديدة وبتعدد الدلالة يكون التعبير بطريقة فنية جمالية يوصلنا إلى مكامن السورة.

نتـــائج البحث

نتـــــائج البحث:

من خلال دراستنا لسورة "ق" على ضوء المنهج الأسلوبي توصلنا إلى عدد من النتائج التي يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- الأسلوبية مصطلح اختلف الدارسون في تحديد مفهومه فكل عرفه حسب منظوره الخاص.
- الأسلوبية لم تنشأ من عدم بل تربطها علاقة وثيقة بعلوم اللغة كالبلاغة، اللسانيات، وغيرهما.
- تعددت المدارس والاتجاهات لاختلاف آراء الدارسين في تحديد مفهوم المصطلح.
- الخطاب مصطلح اختلف الدارسون في تحديد مفهومه. وقد أدت صعوبة وضع تعريف موحد له إلى تداخله مع مصطلحات متاخمة ومرادفة مثل النص، إلى درجة يصعب التفريق بينها.
- اتخذ العرب المحدثون الغرب منطلقا لدراساتهم، فقد مالوا إلى الأخذ بالمفهوم الغربي لمصطلح الخطاب؛ ولذلك نجد تشابها بين تعريفات العرب المحدثين، وتعريفات الغرب، ولا سيما بعد تأثرهم واحتكاكهم بالدراسات اللسانية الغربية.
- من خلال دراستنا للمستوى الصوتي حاولنا الكشف عن جماليات الخطاب القرآني، فركزنا على بعض الصفات الصوتية التي تعد ظاهرة في سورة "ق وكذلك الفاصلة التي وجدنا أنها تشكل إيقاعا مميزا وتناغما وتناسبا بين الآيات وموضوع السورة القرآنية.
- أدت المشتقات إلى إثراء الجانب الصوتي وعززت من قوة المعاني فبتغير البناء يتغير إيقاع اللفظ ودلالته.
- يمتاز المستوى التركيبي بالانزياح الذي أنتج بعدا جماليا فنيا .

- التعريف والتنكير من بين أهم مظاهر الإعجاز في سورة "ق" التي نتج عنها بعد فني جمالي وكذا انتاج الدلالة.
- أنتج لنا التكرار توكيدا وتأكيدا على العديد من القضايا التي عالجتها السورة.
- ظاهرة التقديم والتأخير شكلت انزياحا إيجابيا أنتج تمايزا في المعاني.
- ولد أسلوب الالتفات حركة وفاعلية زادت من قوة المعاني الواردة في الدلالة.
- أسهم المستوى الدلالي في إثراء الرصيد اللغوي فأنتج معاني ودلالات خاصة ولدت حركية في دلالة الألفاظ إذ اختلاف الحقول الدلالية والمشترك اللفظي وغيرها جاءت بما يتناسب مع موضوع السورة.
- تلاحمت الحقول الدلالية بعضها مع بعض فولدت دلالة مميزة أعطت طابعا خاصا لموضوع السورة_البعث والنشور_.
- أسهمت ظاهرتي الترادف والتضاد في إثراء الرصيد المعجمي، مما أنتج دلالات إيحائية زادت من دقة المعاني وحركيتها.
- تتداخل مستويات اللغة بعضها مع بعض فلا يمكن أن ندرس مستوى دون الآخر فالدلالة حتى تصل كاملة غير مبتورة لابد من أن تتعاضد هذه المستويات بعضها مع بعض لتشكيلها.
- بدراستنا لسورة "ق" رصدنا دلالات متميزة وإعجازا على مستوى اللفظ وكذا المعنى.
- والغرض من هذه السورة بيان إمكان البعث الذي أحاله المشركون إلى ضيق القدرة الإلهية، فكانت هذه الآيات كلها مشتملة على إبراز معنى سعة القدرة الإلهية.

حاولنا قدر المستطاع أن نوفي البحث حقه آملين أن نكون قد نجحنا في تحقيق ذلك، ونحن على يقين بأن ما فاتنا منه ربما كان كثيراً لا يسبر غوره عجز قلمينا الفقيرين إزاء جبروت المعلم الرباني وبهائه، ولكن ما يؤنسنا أننا بذرنا بذرة نتمنى أن تنتش وتنمو، وتستوي على ساقها يوما ما، والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي هدانا وأنعم علينا، فتم هذا البحث بعونه.

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.

1. ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار كتب المصرية، القسم الأبي، ط2، 1952.

2. ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مشكلة القرآن، تحقيق: السيد أحمد صغر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.

3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ج1، دط، دت.

4. الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: أسرار اللغة، تحقيق: محمد عجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دط، دت.

5. بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج26، الدار التونسية، تونس، ط1، 1984.

6. الثعالبي عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحقيق: عمار الطابلسي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، د ت.

7. الجرجاني أبو بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط 3، 1992.

8. الخفاجى الحلبي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982.

9. الرازي محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

10. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت.

11. الزمخشري جار الله أبي اقاسم محمود بن عمر:

أ-أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1992.

ب-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، ج5، تحقيق: عادل أحمد أبو الجود، مكتبة العبكية، الرياض، ط1، 1998

12. السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن مُعلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1424 هـ - 2003م.

13. سيبويه أبو بشر عمر وبن عثمان بن قنلي: الكتاب سيبويه: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرقاعي بالرياض، ط2، 1982

14. سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، دار الشروق، بيروت، ط10، 1982.

15. الطبري: مختصر تفسير الطبري، تحقيق مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ط 6، 1998 م.

16. عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، مصر، د ط، 1364 هـ -1945م.

17. العبيدي رشيد عبد الرحمن: معجم الصوتيات مرتب على الألفباء، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، ط2، 2007.

18. الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1998 م.

قائمة المراجع العربية:

1. ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003.

2. ابن ذريل عدنان: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 2000.

3. أبو العدوس يوسف: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007.

4. أبو عودة خليل: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط1، 1985.

5. اسماعيل طالب محمد: مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني وال الشعري، كنوز المعرفة، ط1، 2011.

6. الأشقر عمر سليمان: اليوم الآخرة القيامة الكبرى، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986.

7. أنيس ابراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت.

8. البرسيم قاسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 2005.

9. بلعرج بلقاسم: لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات للربع الأول، درا العلوم، الجزائر، دط، دت.

10. بوحوش رابح: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، 2006 م.

11. بوقرة نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط1، 1429هـ -2009م.

12. بوملحم علي: في الأسلوب والأدبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1995.

13. التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم.

14. الحربي بدري فرحان: الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م-1424هـ.

15. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها دراسة، منشورات الكتاب العربي، د ط، 1988.

16. الحميري عبد الواسع: الخطاب والنص "المفهوم – العلاقة – السلطة "، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2008 م.

17. الخالدي كريم حسين ناصح: الخطاب النفسي في القرآن الكريم (دراسة دلالية أسلوبية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.

18. خفاجى محمد عبدالمنعم: الأسلوبية .. والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1412-1992.

19. درويش أحمد: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، ط،1، دت.

20. الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه ج7، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1999.

21. الرويلي ميجانا و البازغي سعد: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2000م.

22. السد نور الدين:

أ-الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، ج1، دار هومة للطبعة، الجزائر، دط، 2010.

ب-الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، ج 2، دار هومة، الجزائر، دط، 1997.

23. الشكيلي بسمة بالحاج رحومة وآخرون: مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة منوبة، تونس، 2008 م.

24. الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، مارس 2004 م.

25. صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ط، د ت.

26. الصغير محمد حسين علي: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

27. طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العريس، القاهرة، 1998.

28. عبد السلام أبوشادي مصطفى: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1991.

29. عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

30. عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م-1422هـ.

31. عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون _الشركة المصرية العالمية للنشر_، ط1.

32. عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العلاب، دمشق، سوريا، دط، 2002.

33. عكاشة محمود: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1422.

34. عماد عبد يحى: البنى والدلالات في القصص القرآني دراسة فنية، دار دجلة، الأردن، ط 1، 2009.

35. عمر أحمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

36. عون علي أبو قاسم: بلاغة التقديم والتأخير، دار المدار الاسلامي، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

37. عياشي منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002.

38. فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب (علي حسن) القاهرة، 2004.

39. فخرية غريب قادر: عمليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة نموذجا، عالم الكتب الحديث، داريد، الأردن، ط1، 2011.

40. قلاتي ابراهيم: قصة الاعراب كتاب في النحو والصرف لجميع المراحل التعليمية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، ب ط، 2009.

41. الكرماني محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه تشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: أحمد عطا عبد القادر، دار الفضيلة، دط، دت.

42. المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، دت.

43. محمد أحمد خضير: علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، د ط، د س.

44. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1426 هـ – 2005 م.

45. محمود يوسف عبد الكريم: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، إعرابه، مطبعة الشام، سوريا، ط1، 2000.

46. مدكور ابراهيم: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج 1، جمهورية مصر العربية: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، طبعة منقحة، 1988.

47. المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب، ط2، 1982.

48. مصلوح سعد: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، بيروت، ط3، 2002.

49. مغني زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1986م.

50. ناظم حسن: البنى الأسلوبية: دراسة لقصيدة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء _المغرب _، ط1، 2002.

51. ياعيسى عبد القادر علي: في مناهج القراءة النقدية الحديثة، دار حضرموت، صنعاء، ط1، 2004.

52. يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م.

قائمة المراجع المترجمة:

1. دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دط، دت.

2. روبرت دي بون جراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998 م.

3. سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة، دط، 2004م.

قائمة الرسائل العلمية:

1. إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة – الجزائر، 2008 م – 2009م.

2. مدقن هاجر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2003 م

الروابط:

1. فؤاد بوعلي، مناهج تحليل الخطاب، منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين، الرابط: http: //egyfroums.com

الملاحق

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ
﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا
لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ
﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ
نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا
يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي
غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا
فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ
فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا
تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ

لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ
لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ
ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم
بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى
ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ
وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ
قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا
يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

تفسير الجلالين

-سورة "ق"-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي هذا المكان الطيب المبارك من بيوت الله -جل وعلا- نتذاكر معاً تفسير سورة من أعظم السور، طالما كررها النبي -عليه الصلاة والسلام- ورددها على صحابته من خلال منبر الجمعة، وفي هذا تقول الصحابية الجليلة أم هشام: "ما حفظت ق والقرآن المجيد إلا من فيِّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأها على المنبر كل جمعة" فلعظمها وعظم ما اشتملت عليه من مسائل المبدأ والمعاد والبعث والنشور والحساب والجزاء فهي سورة وعظ وتذكير بما لله -جل وعلا- على عباده، ولذا ختمها الله -جل وعلا- بقوله: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}** [(٤٥) سورة ق] وابن القيم -رحمه الله تعالى- رسم منهجاً لتدبر القرآن، والإفادة من معانيه وحكمه وعبره، افتتح كتابه الفوائد بهذه الفائدة العظيمة وهي الإفادة من كتاب الله -جل وعلا-، ولا يكون ذلك إلا بقراءته على الوجه المأمور به، وانطلق في كلامه كله وجعل محور كلامه ينطلق من هذه السورة العظيمة، ولعلنا في ختام السورة غداً -إن شاء الله تعالى- نجمع أطراف كلامه -رحمه الله- لأن أكثر كلام ابن القيم منصب على أواخر السورة، ونظراً لطول السورة وكثرة مطالبها، وعظم فوائدها فإننا لن نستطيع أن نأتي بكل ما نريد، وما يتوقعه طالب العلم في مثل هذه الدروس المختصرة، قليلة في وقتها، لكن نسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا على إبداء الأهم من هذه المطالب.

هذه السورة أعني سورة (ق) هي بداية المفصل عند أكثر العلماء، وإن كان منهم من يرى أن بداية المفصل الحجرات، ولا وجه لمن قال: إن المفصل يبدأ من الجزء الأخير من عم يتساءلون، هذا قول شاذ لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله، كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير، إنما الأكثر على أنه يبدأ من (ق)، ومنهم من يقول: إنه من الحجرات، وعلى كل حال إذا نظرنا إلى تحزيب القرآن عند الصحابة كما في سنن أبي داود، كانوا يحزبون القرآن إلى سبعة أحزاب، سبعة أسباع، على عدد أيام الأسبوع، امتثالاً لقوله -عليه الصلاة والسلام- لعبد الله بن عمرو: ((اقرأ القرآن في سبع)) فإذا اعتمد طالب العلم هذه الطريقة وقرأ القرآن في سبع امتثالاً لهذه الوصية المباركة التي وجد أثرها على ملتزمها من غير أن تعوقه عن أي عمل ينفعه في دينه أو دنياه، هذا التحزيب تقسيم، تقسيم القرآن إلى سبعة أحزاب يدل على أن المفصل يبدأ من (ق) كيف ذلكم؟ يقول الصحابي: كانوا يقرءون في اليوم الأول ثلاث، يعني ثلاث سور، وفي الثاني خمس، وفي الثالث سبع، وفي الرابع تسع، وفي الخامس إحدى عشرة وفي السادس ثلاثة عشرة، وفي السابع المفصل، فإذا قرأ في الستة الأيام ثمان وأربعين سورة وقف على (ق) فإذا اعتبرنا الثلاث في اليوم الأول: البقرة وآل عمران والنساء،

ثم الخمس التي تليها إلى آخر براءة، ثم من يونس إلى الإسراء سورة بني إسرائيل في اليوم الثالث، ثم الرابع من الإسراء إلى آخر الفرقان، والخامس من الشعراء إلى الصافات، ثم من الصافات إلى (ق) هذا ثلاث، ثم خمس، ثم سبع، ثم تسع.. إلى آخره، الذي يقول: إن أول المفصل يبدأ من الحجرات يعتمد هذا التقسيم لكنه يدخل الفاتحة في الثلاث، فإذا أدخلنا الفاتحة وقف التقسيم في اليوم السابع على الحجرات، وهذا بيناه بياناً شافياً -إن شاء الله تعالى- في أول تفسير سورة الحجرات، وهي موجودة ومتداولة في شريطين، لا نحتاج إلى شيء من البسط في هذه المسألة بعد أن ذكرناها هناك.

هذه السورة ننبه على أننا نعتمد في تفسيرنا غالباً على تفسير الجلالين، وذلكم لأنه متن متين متقن محرر، يمكن أن يربى عليه طالب علم في التفسير، إلا أنه في مسائل الاعتقاد له مخالفات في التأويل في الصفات وغيرها ينبه عليها، والسبب في ذلك أن الاعتماد على هذا التفسير أولاً: لأنه تفسير متين، كالمتن، يمكن أن يربى عليه طالب علم، بخلاف تربية طلاب العلم على كتب المعاصرين ومختصرات المعاصرين؛ لأن مختصرات المعاصرين مناسبة لطلاب الوقت، لكنهم يقرءونها بأنفسهم ما يحتاجون إلى أن تشرح في دروس أو دورات، فطالب العلم يربى على المتون المتينة، كون الإنسان يعتمد كتاباً ينطلق منه ويشرح، هذا لا سيما بالنسبة لي أنا أفضل من كونه يفسر تفسيراً مرسلاً لا يرجع فيه إلى كتاب معين، وذلكم لأن الاستطرادات قد تذهب بالشارح يميناً وشمالاً تنسيه المقصود، تنسيه المقصود، فكون الإنسان له قاعدة ينطلق منها كهذا التفسير يكون أضبط لتفسيره، ولا يبعد عن المقصود بحيث ينسى أهم المهمات ويستطرد في أمور قد يظنها بعض طلاب العلم أن فائدتها أقل، وإن كان كثير من طلاب العلم يفرح بهذه الاستطرادات ويأنس بها، ويطلب المزيد منها؛ لأن هذه الاستطرادات ما جاءت من فراغ، أو من..، إنما جاءت من كلام أهل العلم، وقد لا توجد في الكتب التي خصصت لتفسير هذه السورة مثلاً، إنما جمعت من قراءات متفرقة، لكن نظراً لضيق الوقت، يعني الدورة كلها لا تزيد يعني عن ثلاث ساعات أربع ساعات ما تحتمل هذا البسط وهذا التفصيل.

على كل حال نعتمد تفسير الجلالين ونقرأ فيه، ونعلق عليه بما تيسير، ونرجو أن يكون في ذلك فائدة للإخوان.

يقول -رحمه الله تعالى-...

أولاً: هذا التفسير مؤلف من شيخين جليلين، ولا يعني هذا أن هذه تزكية أو تبرئة لهذين الشيخين من كل وجه، لا، لكن دلالة الكتاب على محلهما من العلم والدقة تدعو إلى هذا، وإلا فعندهم شيء من التأويل، تأويل الصفات، وهما يجريان في الغالب على مذهب الأشعرية التي هي عقيدة زمنهما ومكانهما، الكتاب ألف من قبل جلال الدين المحلي من سورة الكهف إلى آخر القرآن ثم رجع إلى أوله ففسر الفاتحة وانتهى تفسيره عند هذا، وأكمله الجلال السيوطي من البقرة إلى آخر الإسراء، بنفس الطريقة ونفس النفس، أكمله في أربعين يوماً السيوطي.

وبينهما بين الرجلين من المناقضات العجيبة ما يثير الدهشة، السيوطي معروف بالحفظ، ويذكر عن نفسه أنه حفظ مائتي ألف حديث، ولو وجد غير هذه العدة لحفظه، معروف بالحفظ، وكثرة التصانيف، والمحلي على العكس، الحافظة عنده ضعيفة جداً، حتى أنه حاول جاهداً أن يحفظ ورقة من التنبيه، التنبيه لأبي إسحاق

الشيرازي من كتب الشافعية المعتمدة عندهم، يقول: فارتفعت حرارته وظهر فيه من أثرها بثور وحبوب، عجز يحفظ هذه الورقة، والآخر يحفظ مائتي ألف حديث، وهذا يجعل طالب العلم لا ييأس؛ لأن بعض طلاب العلم يكون عنده ضعف في الحافظة، وقد يكون الضعف شديداً، ثم يقول: ما دام ما أحفظ شيء ليش أتعب نفسي؟ قد تنال الإمامة وأنت حافظتك ضعيفة، نعم العلم الشرعي علم الوحيين مبني على الحفظ، لكن لا تيأس، اسلك الطريق ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) وذكرنا في مناسبات كثيرة كيفية التحصيل لضعيف الحافظة، بعض الناس يقول: أنا أقرأ تفسير ابن كثير مرتين وثلاث لو تسألني عن شيء ما أجبتك، نقول: أنت عندك ضعف في الحافظة، وقد يكون فهمك قوياً، وهذا كثير أن من عندهم ضعف في الحافظة تجد الله -جل وعلا- يعوضه بالفهم، وهكذا كان الجلال المحلي، قالوا: إن فهمه يثقب الفلواذ، قوي الفهم، نقول: طالب العلم هذا الذي عنده ضعف في الحافظة له ما يعينه على تثبيت العلم، تقول: عجزت أن أستوعب تفسير ابن كثير نقول: خذ القلم والورق واختصر تفسير ابن كثير، إذا انتهيت من الاختصار يكون عندك من الإحاطة والعلم بتفسير ابن كثير ما لا يدركه كثير من الحفاظ؛ لأن العلم بالمعاناة يثبت، وهذه طريقة مجربة، اختصار الكتب من أنفع وسائل التحصيل، ولا يعني هذا أنك تختصر هذا الكتاب لتنشره تبيعه على الناس، لا، أول من يستفيد منه أنت، ثم بعد ذلك إذا رأيت أن الناس بحاجة إليه لا مانع.

وقد يقول قائل: إنك ذكرت في مناسبات كثيرة أن الاعتماد على المختصرات مضر بطالب العلم، نقول: نعم كذلك فهل في هذا تناقض؟ لا، ليس فيه تناقض، كونك تعتمد على مختصرات غيرك هذا مضر بتحصيلك، كونك تختصر أنت هذا معين لك على التحصيل، كيف؟ اعتمادك على مختصرات غيرك يجعلك تكتفي بما ذكر، ولعل فيما حذف المختصر أهم مما ذكر بالنسبة إليك، لكن إذا اختصرت أنت كان علمك بما حذفت كعلمك بما أثبت، وهذا بسطناه في مناسبات كثيرة، يعني لنا أشرطة في هذا الموضوع يعني يمكن وصلتكم في هذه المنطقة، فلا نحتاج إلى الإفاضة بمثل هذا، وهذا أيضاً مثال لما ذكرته أولاً من أن عدم الاعتماد على الكتاب يجعل الإنسان يستطرد ويسترسل وينسى الموضوع، والله المستعان.

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-:

"**سورة (ق)** يقول: "**مكية**" مكية يعني: أنها نزلت بمكة، وعلى التعبير الأدق عند أهل العلم: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، ما نزل قبل الهجرة ولو كان خارج مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو نزل بمكة، في عام الفتح وحجة الوداع، ومنهم من يقول: المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة، لكن هذا يرد عليه أن ما نزل خارج مكة والمدينة ماذا يسمى؟ نعم من القرآن السفري والحضري، لكن ضبط هذه الأمور ما يمكن أن يتم بهذه الطريقة؛ لأن الفائدة من معرفة المكي والمدني معرفة المتقدم من المتأخر؛ ليعرف الناسخ من المنسوخ، فإذا قلنا: إن ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها مدني عرفنا المتقدم من المتأخر، يعني ولو نزل عام الفتح بمكة شيء قلنا: مدني، ولو نزل في حجة الوداع آيات: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [(٣) سورة المائدة] هذه الآية مدنية ولو نزلت في الموقف بمكة، ليتحرر التقسيم وينضبط وتترتب عليه فائدته وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، فالقول المعتمد عند أهل العلم: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة.

"**مكية إلا**: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} [(٣٨) سورة ق] هذه الآية مدنية، هذه الآية مدنية، وأما بقية السورة مكية، يعني آية مدنية تدخل بين آيات مكية؟! هذا يدل على أن الترتيب، ترتيب الآيات توقيفي، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- إذا نزلت الآية قال: ((اكتبوها في موضع كذا)) كهذه الآية، ووضعت بين آيات مكية، هذه الآية المدنية وضعت بين آيات مكية، وهذا يدلنا دلالة واضحة قطعية على أن ترتيب الآيات توقيفي من النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولذا لا يجوز التقديم والتأخير فيها، لا يجوز التقديم والتأخير في ترتيب هذه الآيات لمخالفته لهذا الأمر التوقيفي، ولمخالفته ما أجمع عليه الصحابة -رضوان الله عليهم- في كتابة المصحف في عهد عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-.

ترتيب السور يختلفون فيه، والأكثر على أنه أيضاً توقيفي، لا سيما وقد أجمع عليه الصحابة حينما كتب عثمان المصاحف وأرسلها إلى الأمصار على هذه الكيفية وعلى هذا الترتيب، ولذا يخطئ من قدم وأخر ورتب السور على حسب النزول، هذا مخطئ، يوجد أكثر من تفسير على هذه الطريقة، ترتيب السور على النزول، (التفسير الحديث) لمحمد عزة دروزة، هذا رتبه على السور، بدأ بـــ(اقرأ) وانتهى بـــ(الكوثر) هل هذا الكلام مقبول؟ هل هذا الصنيع معقول؟ أبداً، أولاً: يخالف ما أجمع عليه الصحابة، ولا شك أن هذه هفوة وزلة عظيمة، هناك أيضاً تفسير اسمه: (البيان) لسوري يقال له: عبد العزيز ملا حويش، مطبوع في سبعة مجلدات، والأول في اثني عشر جزءاً، كلها رتبت على التنزيل، لكن إذا أمكن ترتيب السور على التنزيل كيف يمكن ترتيب الآيات؟ يعني إذا وضعت (ق) في السور المدنية في أوائل الترتيب، كيف تضع هذه الآية وهي مدنية؟ أو تخرج هذه الآية من هذه السورة المكية ليتسنى لك الترتيب هذا لا يمكن، دون هذا خرط القتاد، فمع أنه مخالفة صريحة واضحة لما أجمع عليه الصحابة إلا أنه لا يمكن تطبيقه، لا يمكن تطبيقه؛ لأنه إذا أمكن في السور لا يمكن في الآيات، فيبقى المصحف كما رتبه الصحابة -رضوان الله عليهم-، وكما أجمعوا عليه فلا يجوز التعرض له بتقديم ولا تأخير لا سيما والقرآن محفوظ مصون، لا يجوز..، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [(٩) سورة الحجر] نعم وجد مثل هذه التصرفات، وهي ليس فيها زيادة ولا نقصان في القرآن، لكنها إعادة لترتيب القرآن، مخالفة لما أجمع عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-، ودرجت عليه الأمة وتلقوه جيلاً عن جيل، حتى تواتر تواتراً قطعياً على هذا الترتيب، وعلى هذا النمط، فلا شك أن هذا الترتيب الجديد غير ترتيب الصحابة زلة وهفوة عظيمة، وحينما ينبه على مثل هذا يذكر طلاب العلم بأن مثل هذين التفسيرين وقد يوجد غيرهما مما لم يطلع عليه، لكن هذا لا يجوز بحال.

هناك نوع من التفسير فيه شيء من الترف ولا يليق بعظمة كتاب الله -جل وعلا-، وهذا سلكه بعضهم بتفسير القرآن بالحروف المهملة، يعني ما في ولا حرف منقوط، هل هذا مقصد وهذه غاية؟ أبداً والله، إنما يظهر فيه في كثير من مواضعه التعسف، تحتاج إلى تفسير آية فتأتي إلى..، تأتي بكلمات لا نقط فيها ولا إعجام، فتضطر إلى كلمات غريبة، أو كلمات وحشية أيضاً، وأسلوب قد يكون ركيكاً، وهذا لا يعرف عند أئمة الإسلام ولا سلفهم، سلف الأمة، أيضاً بعض المفسرين، أو كثير من المفسرين شان تفسيره بما حشاه فيه من البدع المغلظة أحياناً والمخففة والمتوسطة، وهذا كثير في التفاسير، فليحذر طالب العلم من هذه التفاسير المملوءة بالبدع، تفسير الزمخشري، تفسير الرازي، تفسير ابن عربي، تفسير المهايمي، تفاسير كثيرة، تفاسير

للمعتزلة، تفاسير للأشعرية، تفاسير للخوارج، هذا موجود، كلها موجودة، وتفاسير للصوفية، تفاسير إشارية، باطنية، كل هذه تفاسير يتقيها طالب العلم، وعليه بتفاسير أهل العلم الموثوقين؛ لأن معاناة كتاب الله -جل وعلا- عبادة، والعبادة يرجى ثوابها من الله -جل وعلا- فكيف نرجو ونطلب ما عند الله بسخطه؟ هذا لا يمكن، بعض المعاصرين حشا تفسيره بنظريات عصرية وعلوم بعيدة كل البعد عن مراد الله -جل وعلا- في كلامه، وهناك تفاسير مملوءة بالصور، صور ذوات الأرواح، وهي أشبه إلى كتب العلوم من الكيمياء والفيزياء وغيرها من أن تكون بياناً وشرحاً لكتاب الله -جل وعلا-، إذا كان التفسير بالرأي جاء ذمه والتشديد فيه، فدخول مثل هذه التفاسير في هذا المذموم دخولاً أولياً.

يقول: "**مكية إلا:** {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [(٣٨) سورة ق].. **الآية فمدنية، خمس وأربعون آية**" خمس وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم.

البسملة يختلف أهل العلم في كونها آية من السورة يعني من جميع السور، أو آية من الفاتحة فقط؟ أو آية واحدة في القرآن كله نزلت للفصل بين السور، بعد إجماعهم على أنها بعض آية في سورة النمل في أثنائها هذا محل إجماع، وعلى أنها ليست بآية في أول براءة، والخلاف فيما عدا ذلك، هل هي آية من الفاتحة؟ من أهل العلم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويوجبون قراءتها في الصلاة، ويجهرون بها فيما تجهر فيه الفاتحة، والمرجح أنها ليست بآية من أي سورة من السور إلا أنها نزلت آية واحدة نزلت للفصل بين السور، وحديث: ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)) صريح في أن البسملة ليست من الفاتحة، يعني ((فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، ثم إذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)) ثم ذكر الآيات الثلاث بعدها، فهي سبع آيات، وهذا الموضوع ذكرناه في تفسير الفاتحة وأطلنا فيه وذكرنا الأقوال في عدد آي الفاتحة، وعامة أهل العلم على أنها سبع، وإن قال بعضهم: إنها ثمان، وشذ بعضهم فقال: ست، لكن ليس هذا محل البسط.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا نحتاج إلى إعادة تفسير البسملة أو إعراب البسملة هذا نكتفي بما ذكرناه في تفسير الفاتحة.

يقول -رحمه الله تعالى- في قوله -جل وعلا-: {ق..} [(١) سورة ق] يقول: "**الله أعلم بمراده به**" الله أعلم بمراده به، وسلك المفسران الجلالان في تفسيرهما هذا المختصر هذه الجملة: "الله أعلم بمراده به" في جميع السور المفتتحة بالحروف المقطعة، فخرجوا من خلاف طويل بسطه أهل العلم في المطولات، فنأتي إلى (ق) (ق) يقول المؤلف: "**الله أعلم بمراده به**".

منهم من يقول ويري في ذلك خبراً مطولاً: أن (ق) جبل محيط بالأرض، محيط بالأرض من ياقوت، وبالغوا في صفته وعظمته، وذكروا أشياء لا يقبلها عقل، ولم يرد بها نقل، حتى قال الحافظ ابن كثير: إنه من وضع زنادقة أهل الكتاب، من وضع زنادقة أهل الكتاب، وتتابع المفسرون على ذكره اعتماداً على قوله -عليه الصلاة والسلام-: ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)) ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)) وهذا في

الصحيح، وفي رواية البزار: ((فإن فيهم الأعاجيب)) بعض الناس مغرم بذكر هذه الإسرائيليات وترديدها بناءً على أن فيها شيء لم يسمعه من قبل، وفي الغالب أن الأشياء التي لا تنفع ينساق وراءها الناس، النفوس ترتاح إليها؛ لأنها في الغالب ليس فيها شيء من التكليف، هي مجرد قصص، فتجد الناس يغرمون بمثل التفاسير المملوءة من الإسرائيليات، وتبعاً لذلك تجد كثير من طلاب العلم يصعب عليه قراءة كتب العلم المتينة مما يخدم الوحيين من التفاسير وشروح الأحاديث، كتب العقائد، كتب الأحكام، هذه صعبة على النفوس؛ لأنها تخالف ما تشتهيه النفوس، لكن تجده يقرأ في كتب الأدب؛ لأن فيها أخبار وسواليف ويقل وقال ويقرأ في كتب التواريخ، القراءة في كتب التواريخ والأدب فيها راحة، فيها استجمام، فيها متعة، فيها عبرة أحياناً، فيها عظة، لكن الاسترسال وراءها بحيث تكون على حساب النصوص وما يخدم النصوص هذا لا يليق بطالب العلم، أيضاً الانسياق وراء هذه القصص التي جاء الإذن بقراءتها ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)) هذا إذن مطلق لكنه ينبغي أن يكون مقيداً بما لم يرد شرعنا بخلافه، فإذا ورد شرعنا بخلافه فإنه لا يجوز أن يحدث به، ولا يعتمد عليه، وإنما يذكر لبيان مخالفته.

تجد بعض طلاب العلم مغرم بكتب الرحلات؛ لأنها سواليف، تسهل على النفس قراءتها وتلقيها والتحدث بها سهل، تجده إذا كان مدعو إلى جلسة وإلا شيء، نظر في بعض هذه الكتب ليتحدث به في المجلس، أو يكون ديدنه ذلك، بعضهم مغرم بقراءة الذكريات، وهذه الرحلات والذكريات أغلى ما يباع في الأسواق على الإطلاق الآن، أغلى من كتب التفسير وشروح الحديث والعقائد والفقه والعلوم النافعة؛ لأن الناس اتجهوا إليها، تجد هذه الإسرائيليات التي منها أن (ق) جبل محيط بالأرض وصفته كذا وكذا، المقصود أنهم هولوا من شأنه بشيء لا يقبله عقل، لا يمكن أن يدخل في عقل، ولم يرد به نقل، بل وردت النقول بخلافه، حشيت كتب التفاسير بمثل هذه الإسرائيليات، حتى أن واحد من طلاب العلم، ممن ينتسب إلى طلب العلم عتب على من اختصروا تفسير ابن كثير وجردوه عن ذكر هذه الإسرائيليات، مع أن الإمام الحافظ ابن كثير ناقد، إذا أورد هذه الأخبار ينقدها ولا يسكت عليها، وهو الذي قال في هذا الجبل إنه من وضع زنادقة أهل الكتاب، فلا يلام من ذكرها للنقد.

القرطبي في تفسيره الجامع ذكر في مقدمة كتابه أنه لا يذكر الأخبار الإسرائيلية، ويكتفي بذكر الأحكام ومعاني الآيات من حيث اللغة والمنقول، ويفيض في الأحكام، لكنه مع ذلك ذكر من الأخبار الإسرائيلية؛ لأن بعض الأمور تفرض نفسها، إذا كانت جميع المراجع التي بين يديه فيها ذكر هذه الإسرائيليات، قد ينساق الإنسان وراءها من حيث يشعر أو لا يشعر، وعلى كل حال تفسير القرطبي من أنظف الكتب بالنسبة للإسرائيليات، وإن وجدت فيه، تفسير الخازن الذي صار ديدناً لكثير من طلاب العلم في بعض الأقطار، الرجل صوفي، ومغرم بالإسرائيليات، وهو في الأصل مختصر من تفسير البغوي، لكنه أفاض في ذكر هذه الإسرائيليات، فصار الناس يتتبعونه تبعاً لهذه الإسرائيليات التي تروح عن قلوبهم على حسب ما يزعمون.

منهم من يقول: إن (ق) اسم السورة، وأنتم ترون أنها وضعت في المصحف: (سورة ق) كونها اسم للسورة ما في أدنى إشكال باعتبار أن السورة قد تسمى بجزء منها، كما قيل: سورة البقرة مثلاً، وقد يكون للسورة الواحدة أكثر من اسم كما هو معروف، فمثل هذا أمره سهل، منهم من يقول: إن (ق) افتتاح الأسماء الحسنى

المفتتحة بالقاف قدير، قاهر، قهار، قابض، منهم من يقول هذا، وهذا موجود في كتب التفسير، لكن الاقتصار على حرف وحذف الباقي مع عدم وجود ما يدل عليه، هذا فهي ما فيه، لا يوجد ما يسنده من لغة العرب، ولم يرد به أثر، وإن نسب إلى بعض الصحابة، منهم من يقول: إن (ق) معناها: قضي الأمر، وهذا مثل سابقه، يعني لو قلنا: (ق) أول الاسم القدير لله -جل وعلا-، أو القاهر، أو القهار، يعني لا يوجد ما يدل على أن (ق) معناها قضي الأمر، لا يوجد ما يدل عليها، والحذف لا يسوغ إلا مع وجود ما يدل عليه، هم يقولون: يوجد الحذف في لغة العرب:

قلـــت لهـــا: قفـــي فقالـــت: قـــاف .....

يعني وقفت، قالت: وقفت، هذا الحذف يوجد ما يدل عليه من قوله: قفي، فقولها: قاف يعني وقفت لوجود ما يدل عليه، لكن عندنا في قضي الأمر من (ق) هل يستطيع إنسان مهما بلغ من الذكاء والنبوغ أن يعرف أن (ق) معناها قضي الأمر من هذا الحرف فقط؟ ما يمكن مستحيل، ما في ما يدل عليه.

أقوال أهل العلم في الحروف المقطعة كثيرة مثل (ق)، مثل (ص)، مثل (ن)، مثل: (آلم)، (ألمر)، (طس)، (طسم)، (كهيعص)، (حم)، (عسق)، هذه حروف مقطعة، من أهل العلم من يرى أنها إنما أنزلت لتحدي من نزل عليهم القرآن، وتعجيزهم، ولذلك في الغالب يذكر بعد هذه الحروف القرآن؛ للدلالة على أن القرآن مركب من هذه الحروف، وأنتم تعرفونها وتحفظونها، الحروف حروف المعجم يوجد من لا يحفظ حروف المعجم؟ الحروف المقطعة من ألف إلى الياء، يوجد طفل ما يحفظها؟ إلا شخص غير مميز، يعني من سن التمييز تحفظ هذه الحروف، والعرب يعرفونها، سواءً كانت على حروف ترتيبها على التهجي ألف باء تاء ثاء.. إلى آخره، أو على الأبجد، على كل حال هي معروفة ويستخدمها العرب في التاريخ، يعني أمر معروف عندهم، فإذا كان القرآن مركب من حروف تعرفونها كالقاف مثلاً أو الصاد أو الألف أو اللام، أو الميم، أو ما أشبه ذلك، فأتونا بمثله وأنتم أهل الفصاحة والبيان، والله -جل وعلا- تحدى العرب أن يأتوا بمثله، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتوا بسورة، لكن هل تحداهم أن يأتوا بآية؟ نعم؟ تحداهم أن يأتوا بآية؟ لا، سورة، نعم آية بقدر سورة، بقدر أقصر السور لا يمكن أن يأتوا بها، لكن آية وجدت في القرآن العربي لا يعجز أن يقول: {ثُمَّ نَظَرَ} [(٢١) سورة المدثر] هل يعجز العربي أن يقول: {ثُمَّ نَظَرَ} [(٢١) سورة المدثر]؟ هذه آية، ما حصل التحدي بآية، لكن آية أطول من هذه يتحدى بها، بقدر سورة الكوثر يمكن أن يتحدى به، أيضاً: {ثُمَّ نَظَرَ} [(٢١) سورة المدثر] و{مُدْهَامَّتَانِ} [(٦٤) سورة الرحمن] وهما آيتان في سياقهما لا يمكن أن يؤتى بمثل هذه الدقة، في هذا المقام، فهو معجز من هذه الحيثية، لكن التحدي بالآية بمفردها ما حصل.

{وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [(١) سورة ق] الواو معروف أنها واو القسم، و(ق) الوقوف عليها بالسكون، هذا عامة القراء عليه، ومنهم من يقول: تنطق مكسورة (قِ والقرآن) لأن الكسر يقوم مقام السكون، نعم يقوم مقام السكون متى؟ إذا وليه ساكن، لكن الذي ولي (ق) ساكن وإلا متحرك؟ {يَرْفَعِ اللَّهُ} [(١١) سورة المجادلة] الأصل ساكن، لكن حرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وهنا في التقاء ساكنين؟ لا، ليس في التقاء ساكنين، فلا مبرر للكسر.

ومنهم من يقول: إن (ق) كلمة والأصل في الكلمة إذا تصدرت الكلام تكون مرفوعة فيقول: (قُ والقرآن) ومنهم من يقول: أخف الحركات الفتحة فتفتح، وعلى كل حال عامة القراء على أنها ساكنة.

{وَالْقُرْآنِ} [(١) سورة ق] الواو واو القسم، وحروف القسم الثلاثة معروفة الواو والباء والتاء، القرآن: والمراد به المقروء المنزل من عند الله -جل وعلا- المتلو المكتوب المسموع، هو كلام الله -جل وعلا- تكلم به وسمعه منه جبريل، ونزل به على محمد -عليه الصلاة والسلام- منه بدأ وإليه يعود، فهو منزل غير مخلوق كما تقول المعتزلة، ومن يضاهيهم ويشابه قولهم من وجه كالأشعرية والماتريدية.

{وَالْقُرْآنِ} [(١) سورة ق] مجرور؛ لأن حروف القسم من حروف الجر، حروف القسم من حروف الجر، القرآن: مقسم به مجرور، وجواب القسم؛ لأنه يقول هنا: {وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [(١) سورة ق] **ما آمن كفار مكة بمحمد بل عجبوا**" كأنه يرى أن جواب القسم محذوف تقديره: **ما آمن كفار مكة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بل عجبوا**" ومنهم من يقول: الجواب: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} [(٤) سورة ق] وحذفت اللام الواقعة في جواب القسم لطول الكلام، لوجود الفاصل بين المقسم به وجوابه، ومنهم من يقول: إن جواب القسم: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ} [(٣٧) سورة ق] وقيل: الجواب: {مَا يَلْفِظُ} [(١٨) سورة ق] وقيل: جوابه: {بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} [(٢) سورة ق] لكن هذا الإضراب يقتضي أن يتقدمه كلام يضرب عنه، وهو ما قدره المفسر الجلال: "**ما آمن كفار مكة بل عجبوا**"، فقولهم في جوابه: بل عجبوا لا بد من التقدير الذي ذكره المؤلف.

يقول الأخفش: جوابه محذوف، الأخفش معروف أن الأخافش من النحاة من اللغويين بضعة عشر، لكن أشهرهم إذا أطلق الأوسط، سعيد بن مسعدة المجاشعي، هذا الأخفش الأوسط هو أشهرهم بحيث ينصرف إليه اللقب عند الإطلاق.

يقول الأخفش: جوابه محذوف تقديره لتبعثن، {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [(١) سورة ق] لتبعثن، يدل عليه قوله: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [(٣) سورة ق] الحافظ ابن كثير -رحمه الله- يقول: جواب القسم مضمون الكلام الآتي كله، مضمون الكلام الآتي من إثبات النبوة والمعاد وما يتبع ذلك، هذا كلام الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-.

{الْمَجِيدِ} [(١) سورة ق] يقول المفسر: "**الكريم**" والمراد به الرفيع القدر، الكريم كما قال المفسر أو الرفيع القدر، وقيل: الكبير، وقيل: الكثير، المقصود أن المجد صفة لهذا القرآن الكريم، كما أنها صفة للمتكلم به، وهو الله -جل وعلا-، وصفة للعامل به، فهي من الصفات المشتركة اسم من أسماء الله، وصفة لبعض خلقه ممن اعتنى بهذا الكتاب لا شك أنه يعظم قدره ويرتفع شأنه، وقد جاء في الحديث الصحيح: ((إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً، ويضع به آخرين)) فالمجد منزلة مرتفعة ينالها من كانت له عناية بهذا القرآن المجيد.

{بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} [(٢) سورة ق] "**رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث**"، {بَلْ عَجِبُوا} [(٢) سورة ق] الضمير يعود إلى الكفار، ولم يجر لهم ذكر، لكن قد يحذف الشيء لعدم وجود اللبس {حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [(٣٢) سورة ص] ما هي التي توارت بالحجاب؟ الشمس أحد يشك في هذا؟ أحد يختلف في هذا؟ فلا يحتاج إلى وجود ما يدل عليه، {بَلْ عَجِبُوا} [(٢) سورة ق] من الذي يعجب من مجيء النبي -عليه

الصلاة والسلام- وكونه منهم؟ هل المؤمن يعجب؟ إنما الذي يعجب من ذلك هو الكافر، بدليل ما يتلوه من الكلام {بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} [(٢) سورة ق] "**رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث**" {فَقَالَ الْكَافِرُونَ} [(٢) سورة ق] لماذا أعيد لفظ الكفار ما اكتفى بالضمير بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقالوا: هذا شيء عجيب؟ لماذا أعيد الكفار باللفظ مع أنهم ذكروا بالضمير؟ فالأولى أن يذكروا هنا بالضمير أو يصرح بهم في الموضع الأول بل عجب الكفار أن جاءهم منذر منهم فقالوا: هذا شيء عجيب، الآن العكس الموضع الأول بالضمير والثاني بالتصريح، ذكروا ولم يقل فقالوا، تقبيحاً لحالهم، تقبيحاً لحالهم، ووصفهم بالكفر، ووصفهم بالكفر.

ومنهم من يقول: {بَلْ عَجِبُوا} [(٢) سورة ق] يعود إلى الجميع، إلى جميع من أرسل إليهم النبي -عليه الصلاة والسلام-، من آمن ومن لم يؤمن، ثم بعد ذلك ميز الكفار بقولهم: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا} [(٣) سورة ق] لكن السياق كما في سورة (ص) يدل على أن المراد بقوله: {بَلْ عَجِبُوا} [(٢) سورة ق] هم الكفار.

{بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} [(٢) سورة ق] أي: "**رسول من أنفسهم لا من غيرهم يخوفهم بالنار بعد البعث**" {فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا} [(٢) سورة ق] يعني هذا الإرسال، أو هذا **الإنذار** كما يقول المؤلف {شَيْءٌ عَجِيبٌ} وبيان عجبه هذا الإنذار بالبعث يقول: {شَيْءٌ عَجِيبٌ} لماذا صار عجيباً؟ الموت هل ينكره أحد؟ هل يوجد من ينكر الموت؟ ما يوجد، لماذا؟ لأنه محسوس كل يراه، الأب بين أولاده وبين أفراد أسرته اليوم وغداً في المقبرة، والولد كذلك والأم كذلك، ما في أحد ينكر الموت إلا من في عقله شيء، نعم هناك من يقول بالتناسخ، يقول: لو مات رجع ثانية، أو حلت روحه في كذا ما انتهت، ما انقطع، لكن هذا هلوسة، المقصود أنهم لا ينكرون الموت، إنما يتعجبون من الإحياء بعد الموت، يعني ما عرف بينهم أن واحد مات ودفن ثم رجع إليهم، فهم يستبعدون البعث من هذه الحيثية، فتعجبوا {أَئِذَا مِتْنَا} [(٣) سورة ق] قالوا: {هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} [(٢) سورة ق] بيان ذلك قولهم: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا} [(٣) سورة ق] نبعث ونرجع؟ {هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} [(٢) سورة ق] عندهم.

{أَئِذَا} [(٣) سورة ق] يقول المؤلف: "**بتحقيق الهمزتين** -أئ أئذا- **وبتسهيل الثانية** -أيذا- **وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه**" فتكون الوجوه أربعة، الوجوه أربعة بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين المذكورين، وتركه، فتكون الوجوه أربعة، {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا} [(٣) سورة ق] "**ترجع**" ونعود إلى الدنيا بعد أن فارقت أرواحنا أجسادنا، وطمرنا بالتراب، ودفنا في الأرض؟! {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [(٣) سورة ق] "**في غاية البعد**" يستبعدون هذا، غاية البعد، {ذَلِكَ رَجْعٌ} [(٣) سورة ق] أي: رد بعيد، والرجع هو الرد، وبعده يعني استحالته عندهم، يعني محال أن يرجع؛ لأنهم ما عهدوا أن ميتاً حيا من جديد، ولا يؤمنون بالأخبار، إذا كانوا لم يروا ولم يشاهدوا بحواسهم أن هناك من رجع بعد دفنه، وهم لا يصدقون بالأخبار عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام-، إذن ما في وسيلة للإثبات، هل في وسيلة لإثبات الرجوع؟ ما دام ينكرون الأخبار، وما رأوا بحواسهم أحداً رجع، إذن هذا بعيد، بل محال.

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ} [(٤) سورة ق] يعني ما تأكله منهم، وما يتحلل وما يتفتت وما يذوب، وما يفنى من أجسامهم.

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ} [(٤) سورة ق] أي: ما تأكله من أجسامهم، فلا يضل عنا شيء، ولا يغيب عن قدرتنا شيء، وإذا كان الرجل الذي شك في القدرة الإلهية، وحديثه وقصته في الصحيح، قال: ((لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحد، لكن إذا أنا مت -يوصي أهله- فأحرقوني ثم ذروني في يوم شديد الرياح)) يظن أن اجتماع هذه الأجزاء تصعب على الله -جل وعلا- فشك في قدرته، وما عمل خيراً قط، في بعض الروايات: "إلا التوحيد" في المسند: "إلا كلمة التوحيد" هو مفرط تارك للأوامر، مرتكب النواهي، ومع ذلك معه التوحيد، وشك في القدرة، والذي يشك في قدرة الله -جل وعلا- يكفر وإلا ما يكفر؟ يكفر، لكنه لما جمعت أجزاءه قيل له: ما الذي حملك على هذا؟ فذكر الخوف الشديد من الله -جل وعلا-، فمن أهل العلم من يقول: إنه عذر بجهله، ومنهم من يقول: إنه بلغ به الخوف مبلغاً غطى عقله، ورفع عنه التكليف في تلك اللحظة، والمغلوب غير مكلف، المغلوب غير مكلف.

كلام أهل العلم في هذه المسألة كثير، لكن فيها دلالة على القدرة الإلهية بجمع ما تفرق من أجزاء البدن في الأرض، من أكلته السباع، من أحرق بالنار، وما أشبه ذلك كله يجمع ويبعث مع الناس كما كان -والله المستعان- كاملاً حتى ما أخذ منه في حياته يرد إليه، حفاة عراة غرلاً بهماً، يعني كما خلقوا.

في الصحيح: ((كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب)) ((كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، ومنه يركب)) عجب الذنب الذي يسمونه نعم العصعص، هذا لا يأكله التراب، وهو من أحد الثمانية التي لا تفنى.

ثمانيـــة حكـــم البقـــاء يعمهـــا ... من الخلق والباقون في حيز العـــدم

هي العرش والكرسي نـــار وجنـــة ... وعجب وأرواح كذا اللـــوح والقلـــم

الأنبياء والشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم، الله -جل وعلا- حرم على الأنبياء أن تأكلهم، حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، وكذلك الشهداء؛ لأنهم أحياء، يعايا برجل لا تأكل جسده الأرض ليس بنبي ولا شهيد بل ولا صالح، وهو الرجل الذي خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، هذا تأكله الأرض وإلا ما تأكله؟ نعم، إذا كانت حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، طيب هذا الرجل الذي خسف به، نعم؟

طالب:.....

نعم المقصود أنه مما يعايا به، فيقال: رجل لا تأكل جسده الأرض، ليس بنبي ولا شهيد، بل ولا صالح، هذا خسف به الأرض، يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ} [(٤) سورة ق] أي: "**تأكل**" {مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} وعندنا كتاب حفيظ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة، فيه جميع الأشياء المقدرة، فهو محفوظ، وهو أيضاً حافظ، حافظ لأفعال العباد، ما يند عنه شيء، وهو محفوظ من التغيير والتبديل، ومحفوظ فيه كل شيء، وحافظ أيضاً هو لكل شيء، فيه جميع الأشياء المقدرة.

{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ} [(٥) سورة ق] يعني: **القرآن**، ومنهم من يقول: الإسلام، ومنهم من يقول: محمد -عليه الصلاة والسلام-، القرآن والإسلام ومحمد -عليه الصلاة والسلام-، وهذا من اختلاف التضاد وإلا التنوع؟

التنوع؛ لأنه لو قيل: المراد به كل هذه الأمور لما بعد، بين -سبحانه وتعالى- سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد، وهذا حال كل من خرج عن الحق، {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ} [(٥) سورة ق] أي: "**بالقرآن**" {لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ} [(٥) سورة ق] هؤلاء المكذبون الكفار في شأن النبي -صلى الله عليه وسلم-، "**في شأن النبي -صلى الله عليه وسلم- والقرآن**" {فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ} يعني: مختلط، **مضطرب**، حيث قالوا مرة عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: إنه ساحر، وقالوا عن القرآن: سحر، ومرة قالوا: شاعر، ومرة قالوا عن القرآن: إنه شعر، ومرة قالوا عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: كاهن، وقالوا عن القرآن: كهانة، فأمرهم مضطرب مختلط، ملتبس {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ} [(٥) سورة ق] وقيل: فاسد، فكل شيء مرج فقد فسد، ومنه قيل للبيض إيش؟ مارج يعني: فاسد، وفي آخر الزمان من يأتي ممن مرجت عهودهم وفسدت.

{أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] لم ينظروا معطوف بالفاء على أمر مقدر على شيء مقدر، يعني أغفلوا فلم ينظروا، أغفلوا فلم ينظروا نظر اعتبار، ونظر تفكر، {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] "**أفلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث**" {إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] **كائنة** فوقهم، الظرف فوقهم متعلق بكائن أو مستقر كائنة أو مستقرة {فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} [(٦) سورة ق] نظر اعتبار، ونظر تفكر، {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} [(١٩٠-١٩١) سورة آل عمران] هؤلاء هم الذين يوفقون في النظر في هذه الآيات، والنظر في الآيات سواءً كانت الكونية أو الآيات الشرعية من أقوى أو من أعظم ما يزيد الإيمان، من أعظم ما يزيد الإيمان، "**أفلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث**" {إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] **كائنة** فوقهم، {كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} [(٦) سورة ق] القادر على خلق هذه السماء وعلى سعتها هل يعجز عن إعادتهم؟ القادر على خلقهم هل يعجز عن إعادتهم؟ لا، الإعادة أسهل من البدء؛ لأن الإيجاد من لا شيء أعظم من الإيجاد من شيء، وكل ذلك على الله يسير، وكله بالنسبة له مستوٍ {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [(٨٢) سورة يـــس].

يقول: "**كيف بنيناها بلا عمد**" كيف بنيناها بلا عمد، يعني لو أن إنساناً أراد أن يبني سقفاً عشرة في عشرة اضطر أن يضع عمود، أو يضع احتياطات كبيرة جداً؛ لئلا يسقط السقف، فكيف إذا زادت المسافة عن هذا؟ فكيف بالسماوات التي خلقت بلا عمد؟ الله -جل وعلا- يقول: {اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [(٢) سورة الرعد] بغير عمد ترونها، الجملة وصف للعمد، فهل لهذه الجملة مفهوم أو ليس لها مفهوم؟ لها مفهوم وإلا لا مفهوم لها؟ نعم؟ يعني هل مفهومهما معتبر أو مفهومها ملغى؟ وما الفرق بينهما؟ خلق السماوات بغير عمد ترونها، إذا قلنا: لا مفهوم له قلنا: ليس لها عمد أصلاً، إذا قلنا: إن الجملة لا مفهوم لها، وألغينا المفهوم، وقد يلغى المفهوم لا سيما إذا عورض بما هو أقوى منه كالمنطوق، فهل يوجد ما يعارض هذا المفهوم؟ هل نقول: إن القدرة لا تتم إلا إذا كانت بغير عمد؛ لنقول: إن هذا معارض فنلغي المفهوم؟ أو نقول: المفهوم معتبر وأن السماوات على عمد لكنها لا ترى؟ نعم يا الإخوان هل نقول: إن السماوات بغير عمد وقوله: لا ترونها هذا لا مفهوم له والتعبير صادق على أنها ليس لها عمد أصلاً؟ أو نقول: إن لها عمد

ومفهوم الجملة معتبر لكن هذه العمد لا ترى؟ وأيهما أدخل في القدرة وأقوى أن تبنى بغير عمد أو تبنى بعمد لا ترى؟ نعم؟

طالب:.....

ما نحتاج إلى أن نقول: لا ترى، إذا قلنا: بدون عمد ما في عمد من أجل أن ترى أو لا ترى، فما الداعي ما الحاجة إلى قوله: {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [(٢) سورة الرعد]؟ بغير عمد ترونها المفهوم ملغى، إذن هي ليست على عمد أصلاً، قبة على الأرضين بغير عمد، ولا شك أن في هذا ما فيه من بيان عظمة الخالق -جل وعلا-، لكن إذا قال: إنها بغير عمد ترونها المفهوم معتبر وهي مبنية على عمد لكنها لا ترى، أليس هذا من أعجب العجب أن يوجد عمد تحمل هذه السماوات، هذه الأجرام العظيمة ولا ترى بالعين المجردة؟ هذا أيضاً فيه بيان عظمة، يعني هناك يستطيع بعض المهرة أن يبنوا على أشياء، أو يصورا أشياء مخفية، لكن هل يمكن أن يجعلوا عمد مخفية؟ ما يمكن أن يوجد عمد مخفية، في قدرة البشر لا يمكن.

فإذا قلنا: إن السماوات مبنية على عمد لكنها لا ترى، هذا أيضاً فيه بيان لعظمة الله -جل وعلا- مما يذهل ويدهش العقول، قالوا: {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [(٢) سورة الرعد] وهو صادق ألا عمد لها أصلاً، فلا مفهوم للجملة، وقيل: لها مفهوم وأنها بنيت على عمد لكنها لا ترى، والذي اعتمده المؤلف: "**فوقهم كيف بنيناها بلا عمد**".

{وَزَيَّنَّاهَا} [(٦) سورة ق] زيناها **بالكواكب** والنجوم، فالنجوم لها حكم، من حكمها أنها زينة للسماء {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [(٥) سورة الملك] وزيناها بالكواكب {وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} [(٦) سورة ق] الفروج: هي الشقوق والفتوق، لا شك أن الفروج والشقوق تعيبها، لكنها لا يوجد فيها هذا العيب.

{وَالْأَرْضَ} [(٧) سورة ق] "**معطوف على موضع (إلى السماء)**" {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] ولم ينظروا إلى الأرض كيف مددناها إذا عطفنا على اللفظ، وإذا عطفنا على المعنى نصبنا، ولذا قال: {وَالْأَرْضَ} [(٧) سورة ق] "**معطوف على موضع (إلى السماء)**" {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ} [(٦) سورة ق] السماء لفظها مجرور، مجرور بإيش؟ بـــ(إلى) بالحرف، والأرض: منصوب، منصوب على إيش؟ على موضع السماء؛ لأن الأمر بالنظر إلى السماء، والأصل أن الفعل يتعدى بنفسه، أفلم ينظروا السماء فعدي بالحرف، وما عطف عليه يجوز فيه الجر والنصب، الجر على اللفظ، والنصب على المعنى، الجر على اللفظ والنصب على المعنى.

يقول: {وَالْأَرْضَ} [(٧) سورة ق] "**معطوف على موضع (إلى السماء)**"، "**كيف مددناها: دحوناها على وجه الماء**" ووسعناها وبسطناها، كيف مددناها فهي ممدودة مبسوطة {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} [(٧) سورة ق] يعني: "**جبال تثبتها**" {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} [(٣٢) سورة النازعات] فلولا هذه الجبال لمادت بأهلها، لمادت بأهلها، وأكثر ما يخشى مما يخشى من عمليات إزالة الجبال والآن في بعض البلدان العمل جار على أشده، يعني تنظرون في مكة مثلاً العمل جاري ليل ونهار على إزالة هذه الجبال، ولا شك أن هذه الجبال لها هذه المصلحة العظيمة؛ لئلا تميد بأهلها، فهم يزيلونها، لكنهم يقولون: إننا نزيل الجبال ونضع مكانها أبنية شاهقة، تقوم مقامها، لكن هل هذه الأبنية على ارتفاعها وسعتها وطولها وعرضها تقوم مقام الجبال؟ لماذا؟ لأن الجبال صماء ما فيها

تجاويف، والأبنية فيها تجاويف، فلن تقوم مقامها، والحكمة الإلهية من وجود الجبال تقتضي ألا يتعرض لها بشيء.

{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} [(٧) سورة ق] "**جبالاً تثبتها**" {وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ} [(٧) سورة ق] "**صنف**" من كل زوج: صنف، من أصناف النباتات {بَهِيجٍ} [(٧) سورة ق] يبهج أو "**يُبهج به لحسنه**" فهو حسن نظر، فهو حسن نظر.

{تَبْصِرَةً} [(٨) سورة ق] "**مفعول له**" مفعول لأجله، يعني من أجل التبصرة، "**فعلنا ذلك**" تبصرة، يعني من أجل التبصرة، فهو "**مفعول له أي: فعلنا ذلك تبصيراً منا**" {وَذِكْرَى} [(٨) سورة ق] **تذكيراً** {لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} [(٨) سورة ق] رجاع، تواب، أواب "**رجاع إلى طاعتنا**" ولا شك أن هذا النظر مما يقوي الإيمان.

تبصرة لمن؟ وتذكرة لمن؟ تبصرة للجاهل، وتذكرة للناسي، تبصرة للجاهل، وتذكرة للناسي الغافل تذكره، {لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} [(٨) سورة ق] يعني: رجاع إلى طاعة الله -جل وعلا- بعد أن غفل عنها، يرجع عنها، فتجده كل ما غفل رجع، كل ما أذنب تاب واستغفر وهكذا.

ألفية العراقي سماها التبصرة والتذكرة؛ لأنه يقول في أوائلها:

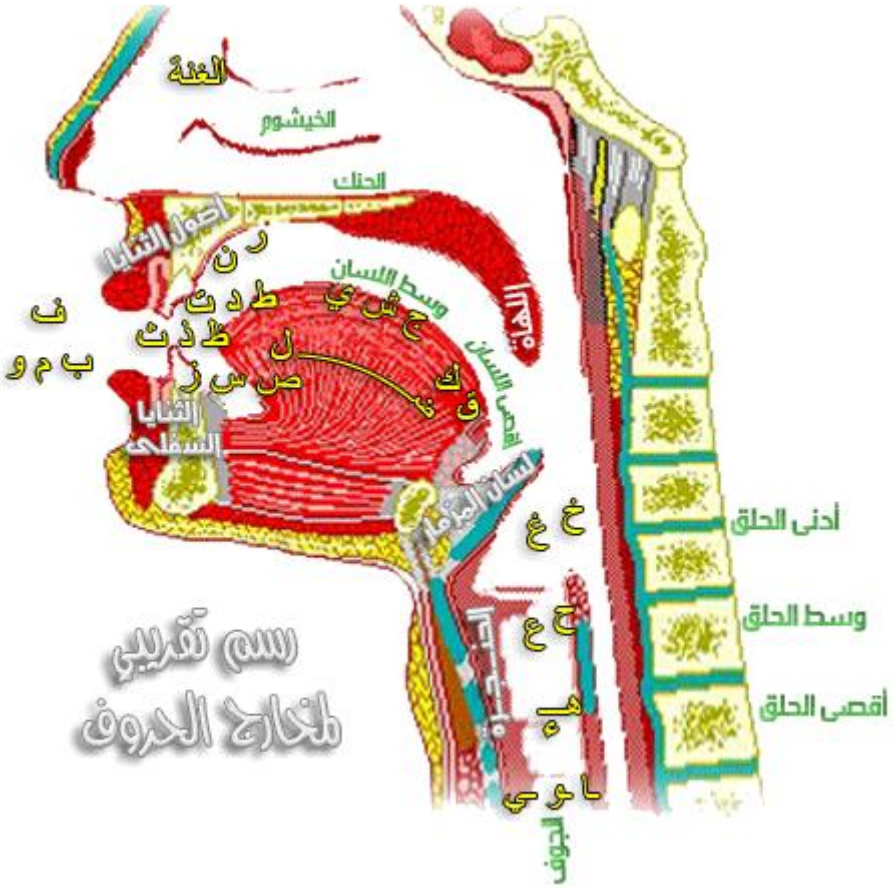
نظمتهـــــا تبـــــصرة للمبتـــــدئ تـــــذكرة للمنتهـــــي والمـــــسندي

فهي تبصرة للمبتدئ الجاهل، وهي تذكرة أيضاً للمنتهي الذي أخذ من هذا العلم بنصيب وغفل عن بعضه يتذكر بهذا الكتاب.

والله -جل وعلا- فعل ما فعل من خلق السماوات والأرض وزين السماء، وأنزل من السماء ماءاً، وألقى في الأرض رواسي وهكذا، لماذا؟ تبصرة: من أجل تبصرة هذا الجاهل، أي فعلنا ذلك تبصيراً منا، وذكرى: تذكيراً لكل عبد منيب: رجاع إلى طاعتنا، ولعلنا نكتفي بهذا ليرتاح الإخوان قليلاً إلى درس المغرب، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مخارج الحروف:



فهرس الموضوعات:

- شكر وعرفان

- إهداء

- مقدمة.....(أ، ب، ج، د)

الفصل التمهيدي: تحديد المفاهيم..... 05

المبحث الأول: الأسلوب والأسلوبية..... 06

1- الأسلوب..... 06

2- الأسلوبية..... 14

المبحث الثاني: الأسلوبية مدارسها وعلاقتها بعلوم اللغة..... 17

1- المدارس الأسلوبية..... 17

أ- الأسلوبية التعبيرية..... 17

ب- أسلوبية الانزياح..... 17

ت- الأسلوبية الصوتية..... 18

ث- الأسلوبية السيميائية..... 18

ج- الأسلوبية السياقية..... 19

ح- الأسلوبية الإحصائية..... 19

2- علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى..... 20

أ- علاقة الأسلوبية بعلم اللغة..... 20

ب- علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي..... 21

ت- الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة..... 23

المبحث الثالث: الخطاب..... 26

1- مفهوم الخطاب..... 26

الخطاب والنص..... 34

2- الخطاب القرآني..... 39

الفصل الثاني: المستوى الصوتي..... 41
المبحث الأول: الصفات..... 42
الصوت اللغوي..... 42
الحرف..... 42
الصفات..... 43
1- الجهر والهمس..... 44
أ- الجهر..... 44
ب- الهمس..... 46
2- الشدة والرخاوة..... 50
أ- الشدة..... 50
ب-الرخاوة..... 52
المبحث الثاني: الفاصلة..... 57
المبحث الثالث: المشتقات..... 61
الفصل الثالث: المستوى التركيبي..... 69
المبحث الأول: التعريف والتنكير 70
المبحث الثاني: التكرار..... 78
المبحث الثالث: الحذف..... 85
المبحث الرابع: التقديم والتأخير 90
المبحث الخامس: الالتفات..... 95
الفصل الرابع: المستوى الدلالي..... 100
المبحث الأول: الحقل الدلالي..... 101
1- حقل الماديات والمعنويات..... 102
أ- حقل الطبيعة..... 105
ب- حقل الزمان..... 106
ت- حقل المكان..... 108

ث- حقل العقاب..... 109
ج- حقل الثواب..... 110
المبحث الثاني: المشترك اللفظي..... 113
المبحث الثالث: الترادف والتضاد..... 116
1-الترادف..... 116
2-التضاد..... 120
نتائج البحث..... 125
قائمة المصادر والمراجع..... 129
الملاحق
فهرس الموضوعات